جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بابل
كلية العلوم الإسلامية/ قسم علوم القرآن

قانون الأسباب والمسببات في القرآن الكريم وعلاقته بخوارق الأنبياء (عليهم السلام)

رسالة قُدمت
إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية في جامعة بابل
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في علوم القرآن

من قبل الطالبة
أفراح جابر راضي جودة الهلالي

بإشراف
الأستاذ الدكتور
عـــامر عمـــران الخفـــاجـــي

ذو القعدة ١٤٤٣هـ حزيران ٢٠٢٢م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة الفتح، آية ٢٣

الإهـــــداء

إلى سبب وجودي إلى من يعجز اللسان عن وصفهما

أمي وابي حفظكما الله من كل سوء نتاجي

ما هو إلا تربيتكم أنتم وهبتوني القلم

فشكرا

إلى من هم عوني وسندي في الحياة

إخواني وأخواتي

إلى سندي الذي تحمل العناء معي وكان خير عون لي في مسيرتي نبض قلبي

زوجي

إلى أزهار ربيعي ونرجس روحي ودقات قلبي، إلى من أسعدني وجودهن في حياتي

إلى سلالم الأمل التي بها أرتقي فلذات كبدي

فاطمة –رتاج

الشكر والعرفان

أحمد الله تعالى حمداً دائماً سرمداً لا ينقطع أبداً أن يسر لي إتمام هذه الدراسة.

ولا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل شكري وأمتناني وعرفاني إلى كل من أعانني على إتمام هذا المنجز المعرفي وأخص بالشكر:

أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور عامر عمران الخفاجي عميد كلية العلوم الإسلامية الذي بذل الوقت لتقديم النصح والإرشاد، فلم يتوان بإبداء الملحوظات القيمة والآراء العلمية السديدة التي منحني إياها، وأشكره على صبره وتحمله عناء الإشراف لي طول مدة البحث فجزاه الله عني خير جزاء المحسنين.

الأستاذ الفاضل الأستاذ الدكتور محمد طالب الحسيني معاون العميد للشؤون العلمية لإقتراحه الموضوع وتسميته ووقوفه معي من لحظة إقرار العنوان وإلى الآن من خلال متابعته الحثيثة لمجريات البحث منذ لبناته الأولى ورسم الخطوط العامة لإنجاح هذا البحث، فضلاً عن تخصيص الكثير من وقته بإبداء ملاحظاته جزاه الله خير الجزاء.

واستاذنا الفاضل الأستاذ الدكتور دريد موسى الأعرجي رئيس قسم علوم القرآن الذي قدم لي الكثير من النصح والإرشاد جزاه الله خير الجزاء.

أستاذنا الفاضل الأستاذ المساعد الدكتور جعفر عليوي موسى لما أبداه من ملاحظات سديدة عن هذا البحث وفقه الله لكل خير.

أستاذنا الفاضل الأستاذ المساعد الدكتور أشرف عدنان الذي قدم لي المساعدة وفقه الله لكل خير.

أستاذنا الفاضل الأستاذ الدكتور محمد حمزة الشيباني لما أبداه من ملاحظات سديدة عن هذا البحث وأعطاني الكثير من وقته جزاه الله عني خير الجزاء. وأستاذنا الفاضل الدكتور محمد عباس نعمان الجبوري لما أبداه من ملاحظات سديدة عن هذا البحث، وأستاذنا الفاضل الأستاذ المساعد الدكتور أحمد حسين حسن السعدي من قسم لغة القرآن الذي قدم لي المساعدة جزاه الله خير الجزاء.

الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم بقبول مناقشة هذا البحث وتقويمه.

أساتيذي من تتلمذت على أيديهم في الدراسات الأولية والدراسات العليا.

الأخوة والأخوات في مكتبة كليتنا كلية العلوم الإسلامية ومكتبة الروضة الحيدرية ومكتبة العتبة الحسينية فرع كربلاء، ومكتبة العتبة العباسية فرع بابل.

ولكل من قدم لي عوناً ومساعدة بمراجعة فصل من الفصول أو بتوفير كتاب أو بإسداء نصيحة أو بكلمة طيبة وحتى من ذكرني بدعاء بظهر الغيب، أسأل المولى عز وجل أن يبارك فيهم جميعاً وأن يجعلهم ذخراً للإسلام والمسلمين.

الباحثة

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الآية القرآنية	أ
الإهداء	ب
الشكر والعرفان	ت
المحتويات	ث–ج
المقدمة	١–٤
التمهيد: مباحث مفاهيمية في عنوان الرسالة	٥–٢١
أولاً– مفهوم القانون والألفاظ ذات الصلة	٥–٦
ثانياً– مفهوم الأسباب والألفاظ ذات الصلة	٦–١٢
ثالثاً– مفهوم المسببات والألفاظ ذات الصلة	١٢–١٣
رابعاً – مفهوم القرآن والألفاظ ذات الصلة	١٣–١٥
خامساً – مفهوم الخوارق والألفاظ ذات الصلة	١٥–١٨
سادساً– مفهوم النبي والألفاظ ذات الصلة	١٩–٢١
الفصل الأول مدخل تاريخي لموقف الفلاسفة المسلمين من السببية	٢٢–٤٦
توطئة	٢٢
المبحث الأول: موقف الفلاسفة المشائين من السببية [الكندي، الفارابي، ابن سينا]	٢٢–٣٤
المبحث الثاني: الغزالي وموقفه من السببية	٣٥–٣٩
المبحث الثالث: ابن رشد وموقفه من السببية	٤٠–٤٦

الفصل الثاني **الأسباب والمسببات في القرآن الكريم والعلاقة بينهما**	**٤٧-٨١**
المبحث الأول: أقسام السنن الإلهية وخصائصها	**٤٧-٥٩**
المبحث الثاني: السببية سنة إلهية وعلاقتها بالتوكل على الله	**٦٠-٧١**
المبحث الثالث: العلاقة بين الأسباب والمسببات	**٧٢-٨١**
الفصل الثالث **نماذج مختارة من خرق الأسباب والمبسببات للأنبياء والرسل (عليهم السلام)**	**٨٢-١٢٨**
توطئة	**٨٢**
المبحث الأول: خرق الاسباب والمسببات في قصة نوح (عليه السلام) والطوفان	**٨٢-٩٣**
المبحث الثاني: خرق الأسباب والمسببات في قصة موسى (عليه السلام) والعبد الصالح	**٩٤-١٠٤**
المبحث الثالث: خرق الأسباب والمسببات في قصة ذي القرنين	**١٠٥-١١٥**
المبحث الرابع: خرق الأسباب والمسببات في قصة عيسى (عليه السلام)	**١١٦-١٢٨**
الخاتمة	**١٢٩-١٣١**
قائمة المصادر والمراجع	**١٣٢-١٤٩**
المختصر باللغة الإنكليزية	**A-C**

المقـــدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي تعالت عن مواضع الفكر جلالته، وتنزهت عن مطامع العزائم عزته، وتسامت عن مجانسة الأنام صفته، وأعيت مدارك الإفهام حكمته ... وأفضل الصلاة وأتم التسليم على البشير النذير والسراج المنير الذي جاء رحمة للعالمين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين... وبعد:

إن القرآن الكريم منهج حياة وفيه قوانين تنظم حياة الإنسان من جميع النواحي، وله أهمية كبيرة في حياة الفرد والأسرة والمجتمع، وفيه ما يهم الكائنات العاقلة في الكون، ولا يستطيع أي شخص الإستغناء عنه، ففي بناء شخصية الإنسان وعقله وفكره وضميره وكل ما يخصه في مختلف الأزمان وإلى يوم القيامة.

والقرآن الكريم حافل بالسنن الإلهية التي يقوم عليها المجتمع وكل هذه السنن قائمة على نظام الأسباب والمسببات، إذ إن كل شيء في هذا الكون له سبب والسبب له مسبب وجميع ما في الكون خاضع لإرادته تعالى، من هنا تجلى في ذهني أن أدرس هذا القانون الإلهي (قانون الأسباب والمسببات) وذلك رغبة مني لإثباته وبيان خصائصه ولإقناع المتلقي أن كل ما يدور في هذا الكون لم يكن صدفة. وهل لهذا القانون استثناء أم يشمل الناس جميعاً.

وجاء في أسباب اختيار الموضوع بأنه سنة إلهية وقانون عام وشامل ولم يكن مدروساً من قبل .

وتهدف هذه الرسالة إلى بيان القانون الإلهي الذي يشمل كل ما في الكون من موجودات، معرفة موقف الفلاسفة الإسلاميين من هذه السنة، وكذلك بيان مدى شمول هذه السنة وثباتها وتكرارها بإرادة الله، وهدفت الدراسة أيضاً إلى بيان العلاقة بين الأسباب والمسببات في جميع الأمور سواءً أكانت أموراً كونية أم أموراً شرعية،

وهدفت هذه الدراسة أيضاً إلى تسليط الضوء على الاستثناء الحاصل لهذا القانون وهو خرق الأسباب عند وقوع المعجزة للأنبياء والرسل والأولياء.

ومن المشاكل التي واجهتني في هذا البحث هي إشكالية الفلسفية العقائدية وعلاقة هذه الإشكالية بمسألة الخوارق، إضافة لإقتحامي ميدان الفلسفة مع إني مبتدئة فيها ولم أطلع إلا بشكل ضئيل عليها مع ندرة الدراسات التي تحدثت عن قانون الأسباب والمسببات عند علماء الإعجاز والربط بينهما وبين الخوارق، وكذلك عدم ذكر هذه السنة في كتب التفسير، وكانت المنهجية التي اتبعتها جمعت بين المنهجية الموضوعية والمنهجية التحليلية.

أما بخصوص الدراسات السابق، فهي:

- السنن الكونية، علاقة الأسباب بالمسببات وتطبيقاتها في القرآن الكريم ، د. علي الصلابي.
- الأسباب والمسببات في القرآن الكريم، د. عبد الرضا الحطيبات.
- القدرة الإلهية والأسباب في القرآن الكريم سورة مريم أنموذجاً، د. رحاب رفعت فوزي عبد المطلب.
- الأخذ بالأسباب في القرآن الكريم، د. علي الصلابي.
- الأسباب والمسببات في القرآن الكريم، أركان علي حسين، ولاء صباح توفيق، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العدد السادس، ٢٠١٥م.

وقد اشتملت خطة البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول تليها الخاتمة وقائمة المصادر والمراجع، تضمن التمهيد عنوان (مباحث مفاهيمية في عنوان الرسالة) وتضمن العديد من النقاط بينت فيه معنى كل من السبب والمسبب والعلة والفرق بينهما، وكذلك بينت معاني المعجزة والخوارق والفرق بينهما، وبينت فيه أيضاً

معنى الآية والقرآن الكريم، فضلاً عن بيان معنى النبي والسُنة، إلى جانب معنى القانون والناموس.

وكان عنوان الفصل الأول بـ (مدخل لموقف الفلاسفة المسلمين من السببية) واشتمل على ثلاثة مباحث، جاء المبحث الأول بعنوان (موقف الفلاسفة المشائين من السببية) وتضمن هذا المبحث موقف ثلاثة من الفلاسفة المسلمين، وهم: الكندي(١٨٥-٢٦٠هـ)، والفارابي (٢٥٩-٣٣٩هـ)، وابن سينا (٣٧٠-٤٢٨هـ).

والمبحث الثاني بعنوان (الغزالي وموقفه من السببية) وكان سبب اختيار الباحث لهذا العنوان ؛ لأنه هدم السببية ورفض التلازم بين الأسباب والمسببات، وعقدنا أن يكون المبحث الثالث بعنوان (ابن رشد وموقفه من السببية) لأن ابن رشد رغم كونه من المشائين إلا أنه نقد آراء الغزالي الفلسفية وكانت له رؤيته الخاصة بربط الأمور التجريبية مع المعطيات الدينية.

وجاء الفصل الثاني بعنوان (الأسباب والمسببات في القرآن الكريم والعلاقة بينهما) واشتمل على توطئة وثلاثة مباحث، كان الأول بعنوان (أقسام السنن الإلهية وخصائصها) وذكرت فيه السنن الكونية والسنن الشرعية، وذكرت أيضاً خصائص السنن الإلهية.

والمبحث الثاني بعنوان(السببية سنة إلهية وعلاقتها بالتوكل على الله) وبينت في هذا المبحث معنى التوكل وحقيقته والفرق بين التوكل والتواكل.

وجاء المبحث الثالث بعنوان(العلاقة بين الأسباب والمسببات) فالعلاقة بينهما ما زال الخلاف فيها، فمنهم من يؤكد العلاقة بينهما، ومنهم من ينكر، ومنهم من يثبت تأثير الأسباب والمسببات بإرادة الله تعالى، وذكرت الأمثلة القرآنية التي تؤكد العلاقة بين الأسباب والمسببات.

أما الفصل الثالث جاء تحت عنوان (نماذج مختارة من خرق الأسباب والمسببات للأنبياء والرسل(عليهم السلام))، وقد تحدثت في هذا الفصل عن إمكان خرق نظام الأسباب بإرادة الله عند حدوث المعجزة، وتكوّن هذا الفصل من توطئة وأربعة مباحث، جاء الأول بعنوان (خرق الأسباب والمسببات في قصة نوح(عليه السلام) والطوفان)، وذكرت فيه المراحل التي مر بها نوح من دعوة قومه إلى نجاته من الغرق وكيف خرق الله له الأسباب في وضع السفينة وتجاوز بها الطوفان المرعب.

وكان المبحث الثاني بعنوان (خرق الأسباب و المسببات في قصة موسى (عليه السلام) والعبد الصالح وبينت فيه خرق الأسباب لسيدنا موسى (عليه السلام) وخرق الأسباب مع العبد الصالح، إذ كان على علم بأمور مستقبلية لم يكن أحد يعلمها غير الله تعالى.

وكان المبحث الثالث بعنوان (خرق الأسباب والمسببات في قصة ذي القرنين) وبينت فيه كيف خرق الله تعالى الأسباب لهذا الرجل الطوّاف ومكنه في الأرض.

بينما حصل المبحث الرابع عنوان (خرق الأسباب والمسببات في قصة عيسى (عليه السلام))، وذكرت في هذا المبحث الظروف الإستثنائية لولادته وولادة والدته السيدة مريم (عليها السلام).

وختمت الرسالة النتائج وقائمة المصادر والمراجع وملخص باللغة الإنكليزية.

هذا جهد إنساني قابل للخطأ والزلل بذلت ما في وسعي أسأل الله أن يكون العمل خالصاً لله أرجو أن ينال رضا وقبول أساتيذي أعضاء لجنة المناقشة المكرمين.

الباحثة

التمهيد

مباحث مفاهيمية في عنوان الرسالة

أولاً– مفهوم القانون والألفاظ ذات الصلة

ثانياً– مفهوم الأسباب والألفاظ ذات الصلة

ثالثاً– مفهوم المسببات والألفاظ ذات الصلة

رابعاً – مفهوم القرآن والألفاظ ذات الصلة

خامساً – مفهوم الخوارق والألفاظ ذات الصلة

سادساً– مفهوم النبي والألفاظ ذات الصلة

إن تحديد المصطلحات وبيان مفاهيمها هو مدخل لازم لكي نعطي المفاتيح الرئيسة لمضامين الرسالة والألفاظ ذات العلة بكل مصطلح له علاقة بالموضوع.

أولاً- مفهوم القانون والألفاظ ذات الصلة:

القانون لغة وإصطلاحاً:

والقانون في اللغة: هو القاعدة [١] وجاء بالمعجم الفلسفي هو النظام والشريعة والأصل والناموس[٢].

والقانون في الاصطلاح: أمر كُليّ منطبق على جميع جزئياته التي يتعرف أحكامها منه، كقول النحاة الفاعل مرفوع، والمفعول منصوب، والمضاف إليه مجرور[٣].

فقانون السببية: " **هو ربط المسببات بأسبابها والنتائج بمقدماتها، هذا قانون عام وشامل لكل ما في الكون ولكل ما يحصل للإنسان في الدنيا والآخرة** " [٤].

الناموس لغة وإصطلاحاً:

الناموس في اللغة: ناموس مفرد جمعه نواميس وتعني قانون أو شريعة... وهو اسم لجبرائيل (عليه السلام) [٥].

---

[١] موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهاوني، ١٣٠٠/٢.

[٢] المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ١٨٠/٢.

[٣] التعريفات، الجرجاني، باب القاف ١٧١ وينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، باب القاف، ٢٦٦.

[٤] السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم – أصول وضوابط، مجدي محمد عاشور، دار السلام للنشر، ١٤٣.

[٥] معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد، ٢٢٨٥/٣. وينظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيان، حامد عبد القادر، محمد النجار، ٩٥٤/٢.

والناموس في الاصطلاح: " **هو الشرع الذي شرعه الله**" [١]، وإن الأمور الكبيرة والصغيرة في هذه الحياة لا تحدث إلا بإرادة الله تعالى، وإن الأمور تحدث بفعل أسباب أو نواميس ثم إرادة إلهية، وليس للناموس قدرة على تحقق أمر ما مالم تكن إرادة الله موجودة في ذلك الأمر [٢]، قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [٣] وقوله تعالى: ﴿**سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [٤]، فلا فرق في أن يقع الأمر مرة أو مرات عدة ففي كل الأحوال يتوقف على إرادة الله تعالى.

ثانياً- مفهوم الأسباب والألفاظ ذات العلة

السبب في اللغة معان خمسة ذكرها أصحاب كتب الأشباه والنظائر ومنهم الدامغاني أبي عبدالله (ت: ٤٧٨هـ) وسأذكر هذه المعاني مع إضافات وتصرف الباحثة.

١-**الأسباب:** " **جمع سبب، السبب الحبل** "[٥]، " **الذي يصعد به النخل**" [٦]، مما سبق يتبين أن السبب هو الحبل الذي يصعد به إلى جذع النخل،

---

[١] التعريفات ، الجرجاني، باب النون، ٢٣٩، وينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، باب النون فصل الألف، ٣٢١. وينظر: قواعد الفقه، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، ط١، الناشر الصدف ببلشرز كراتنشي ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م، ٥٢٠.

[٢] ينظر: الفلسفة القرآنية، عباس محمود العقاد، ط٢، ٢٠٠٦، ١٥- ١٦.

[٣] سورة يس، الآية/ ٨٢.

[٤] سورة البقرة، الآية/ ١١٧.

[٥] لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين بن المنظور الأنصاري الرويفعي الافريقي (ت:٧١١هـ)، ط٣، دار صادر بيروت، ١٤١٤هـ، السين والباء، ٢٨١/٨. مادة سبب وينظر: المحيط في اللغة، اسماعيل بن عباس، تحقيق محمد حسن آل ياسين، عالم الكتاب، ٢٥٤/٨. وينظر: الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية، عبدالله خضر حمد ، ط١، دار القلم، بيروت- لبنان، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م، ٤٧٥/٣.

[٦] المفردات في غريب القرآن، أبي القاسم الحسن بن محمد المعروف بـ(الراغب الأصفهاني)، تحقيق: مكتبة نزار مصطفى البّاز، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز، كتاب السين، ٢٩١/١.

ويطلق أيضاً على " **كل شيء يتوصل به إلى غيره استعير من الحبل الذي يتوصل به إلى الماء** " [١].

والسبب في اللغة لا يختلف كثيراً أو يكاد يكون قريباً بالمعنى من السبب في العرف العام: " **وهو كل شيء يتوسّل به إلى مطلوب** " [٢]، جاءت لفظة (سبب ومشتقاتها) في القرآن الكريم لتدل على معانٍ عديدة كما ذكرها الدامغاني:

المعنى الأول: تدل لفظة سبب على العلم في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا**﴾ [٣]، أي علماً [٤]، ووضح ذلك الطبري (ت:٩٢٣هـ) بقوله: "**يعني ما يتسبب به هو العلم به**"[٥].

المعنى الثاني: المنازل جاءت لفظة سبب في الآية المباركة قوله تعالى : ﴿**فَأَتْبَعَ سَبَبًا**﴾ [٦]، تعني منازل الطرق [٧].

---

[١] الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية، عبدالله خضر آل ياسين، ٤٧٩/٣.

[٢] موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تحقيق علي دجروح، تقديم واشراف رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، ٩٢٤/٢.

[٣] سورة الكهف، الآية ٨٤.

[٤] ينظر: تصحيح الوجوه والنظائر، لأبي هلال العسكري (ت:٤٠٠هـ)، تحقيق محمد عثمان، ط١، مكتبة الثقافة الدينية للنشر، ٢٠٠٧م، ٢٥٢.

[٥] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت:٩٢٣هـ)، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار الهجر، القاهرة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ٢٧/٢٠.

[٦] سورة الكهف، الآية ٨٥.

[٧] ينظر: الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ومعانيها ،أبي عبدالله الحسين بن محمد الدامغاني (ت:٤٧٨هـ)، تحقيق: فاطمة يوسف الغنيمي، ط١، تفسير السبب، ٤٢٩، وينظر: الأسباب التي تصد عن قبول الحق وسبل الوقاية منها في القرآن الكريم، نايف بن يوسف بن سعد العُتبي، ط١، مكتبة الملك فهد، ١٤٣٥هـ، ٢٣.

المعنى الثالث: المواصلة والمودة ففي قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [١]، ومعناها انقطعت علاقاتهم مع الذين كانوا يتبعونهم في الحياة [٢].

المعنى الرابع: الأبواب جاءت في الآية المباركة قوله تعالى:﴿ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ [٣]، فالأسباب هنا تعني الأبواب [٤]، وفي قوله تعالى: ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ...﴾ [٥]، تعني أبوابها[٦].

المعنى الخامس: الحبل: جاءت لفظة سبب تدل على الحبل في الآية المباركة قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ...﴾ [٧] "**فليمدد بسبب تعني فليمدد بحبل** " [٨].

وردت لفظة (سبب) في القرآن الكريم تسع مرات، وجاءت في حالتين:

الأولى: مفردة وجاءت في خمس آيات مباركة: أربع منها في سورة الكهف (٨٤- ٨٥- ٨٩- ٩٢) وسأذكر تفاصيلها في المبحث الثالث من الفصل الثالث المعنون بـ(خرق الأسباب والمسببات في قصة ذي القرنين)، والآية الخامسة قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ

---

[١] سورة البقرة، الآية ١٦٦.

[٢] ينظر: مجمع اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت:١٤٢٤هـ)، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ١٠٢٢/١.

[٣] سورة ص، الآية ١٠.

[٤] ينظر: جامع البيان، الطبري(ت:٩٢٣ه)، ٤٧٨/١٦- ٤٧٩.

[٥] سورة غافر، الآية ٣٧.

[٦] ينظر: تهذيب اللغة، أبي منصور محمد بن احمد الأزهري (٢٨٢هـ-٣٧٠هـ)،، تحقيق: أحمد عبد العليم البرودني، مراجعة علي محمد البيجاوي، ٣١٤/١٢.

[٧] سورة الحج، الآية ١٤.

[٨] تصحيح الوجوه والنظائر ، العسكري (ت:٤٠٠ه)، ٢٥٢.

يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ [1]، أي " فليشدد حبلاً في سقفه (ثم ليقطع) أي ليمدد الحبل حتى ينقطع فيموت مختلفاً " [2].

الثانية: وردت لفظة سبب (جمع) أربع مرات في القرآن الكريم:

١- قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾[3] ومعنى ذلك انه لن تنفعهم علاقاتهم وحبهم لهم في الدنيا لأن في الآخرة كل إنسان مسؤول عن عمله فتنقطع بين الناس كل الصلات [4].

٢- قوله تعالى:﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ ، الصرح هو البناء الكبير المرتفع الذي يراه الناظر مهما بعد عنه، وأسباب السموات وسبب الشيء وما يتوصل به إليه[5].

٣- قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾[6]، الأسباب هنا طرق وأبواب السماء من سماء إلى سماء ليثبتوا صحة ما يدعون به [7].

---

[1] سورة الحج، الآية/ ١٥.

[2] الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت:٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداووي، ط١، دار القلم، الدار الشامية، دمشق- بيروت، ١٤١٥هـ، ٧٢٩.

[3] سورة البقرة، الآية/ ١٦٦.

[4] ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري جار الله (ت:٥٣٨هـ)، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ١٤٠٧هـ، ٢١١/١.

[5] ينظر: مجمع البيان، أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، (ت: ٥٤٨هـ)، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، ٤/٨.

[6] سورة ص، الآية/ ١٠.

[7] ينظر: تصحيح الوجوه والنظائر، لأبي هلال العسكري (ت: ٤٠٠هـ)،٢٥٢ ؛ وينظر: الكشاف، الزمخشري (ت:٥٣٨هـ)، ٧٤/٤.

٤- قوله تعالى: ﴿أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [١]، فأبواب السموات هنا طرقها وأبوابها وما يؤدي إليها وهنا أبهم الشيء ثم وضحه كان تفخيماً لشأنه [٢].

يتبين مما سبق ان الإستعمال اللغوي للفظة سبب معان متقاربة بين الباب، العلم، الطرق، الحبل سواء أكان في حالة المفرد أم الجمع، وجميعها تتمثل بما يتوصل إليه الشيء.

السبب في الشريعة: " **عبارة عما يكون طريقاً للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه**" [٣] فيعدُّ السبب أساس الحكم.

السبب في الاصطلاح:

قال الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ): " **السبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آله**"[٤]، وبهذا القول يمكن أن يعد السبب هو الأساس الذي نصل به علم أو قدرة وغيرها قال الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) معرفاً السبب هو " **ما يتوصل به إلى المطلوب فيقال مثلاً الطريق سبباً للوصول إلى المكان الذي تريده** " [٥].

---

[١] سورة غافر، الآية/ ٣٧.

[٢] ينظر: الكشاف، الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، ١٦٧/٤.

[٣] الكتاب العزيز في اعراب القرآن المجيد، المنتخب الهمذاني (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، الناشر دار الزمان، المدينة المنورة – السعودية، ٣١٧/٤، وينظر: مفهوم السببية في الفيزياء المعاصرة وعند المتكلمين المسلمين، محمد باسل الطائي وده آمال رضا ملكاوي، محمد سعيد الصباريني، المجلة الاردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الثامن، العدد (٢أ)، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢، ٩.

[٤] الكشاف، الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، ٣١٧/٤.

[٥] الأسباب والمسببات في القرآن الكريم، اركان علي حسن، ولاء صباح توفيق، مجلة كلية التربية الجامعة المستنصرية، العدد السادس، ٢٠١٥، ٢.

والسبب: هو " **ما يحصل الشيء عنده لا به، فالنار يحصل الاحتراق عندها لا بها لأن النار سبب والمحرق هو الله تعالى** "، وبذلك يكون " **العلم بالسبب، بما هو سبب، علم بالمسبب، والعلم بالصلة بما هي علة علم بوجود المعلول، والعلم بالحيثية التي صارت مبدأ لوجود العلة وحدوثه** " [١].

نستنتج من ذلك أن المعنى اللغوي والإصطلاحي متقاربان وأن السبب هو بمثابة وسيلة أو حبل للوصول إلى شيء ما.

العلة في اللغة: " **المرض علَّ الرجل يَعَل عَلًّا واعتل: مرض فهو عليل والجمع: اعلاء واعله الله فهو معلول وعُلةَ عِلَّة: مرِض فهو معلول**"[٢].

العلة لغة وإصطلاحاً

تبين المعنى اللغوي للعلة المرض ويسمى الإنسان المريض معلولاً.

أما إصطلاحاً فقد عرفها الجرجاني (ت:٨١٦هـ): "**عبارة عن معنى يحل بالمحل حال المحل بلا اختيار ومنه يسمى المرض علة لأن بحلوله يتغير حال الشخص من القوة إلى الضعف** " [٣]، يتبين ان العلة متى وجدت في شيء أو

---

[١] الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، جعفر السبحاني بقلم حسن محمد مكي العاملي، مؤسسة الصادق (عليه السلام) للنشر، ١٤٣٠هـ، ١/١١٣.

[٢] الإفصاح في فقه اللغة، حسين يوسف موسى، عبد الفتاح الصعيدي، ط٤، مكتب الإعلام الاسلامي، قم، ١٤١٠هـ، ١/٥١٤. وينظر: شرح نهاية الحكمة (العلة والمعلول)، تقرير بحث السيد كمال الحيدري لشيخ علي العبادي، ط١، مؤسسة الهدى للطباعة والنشر، لبنان- بيروت، ١/٢٧.

[٣] التعريفات، علي بن محمد الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، ط٤، ناصر خسرو، تهران للنشر، ٦٦.

شخص سمي ذلك الشيء أو الشخص معلولاً، فالسبب يكون بمعنى الوسيلة وبتواجد مع المسبب في حالة هناك مناسبة بينهما أولاً، ويكون السبب خارجاً عن ماهية المسبب، أما العلة فلابد من تواجد مناسبة بينها وبين المعلول[١]، إن العلة تتأخر عن المعلول فمثلاً تسأل تاجر لمَّ تاجرت؟ يقول للربح فالعلة كانت متأخرة ، أما السبب لا يتأخر فمثلاً رمي السهم من القوس سكون باللحظة الآنية ولا يتأخر عنه [٢].

فتبين إن السبب يكون مع المسبب اذا كانت مناسبة بينهما مثل رمي السهم، أما العلة تتأخر عن المعلول لأنها تعتبر تغير حكم.

والكثير من المفسرين لم يفرقوا بين العلة والسبب وجعلوا العلة ترادف السبب والمعلول يرادف المسبب [٣].

يتبين مما تقدم أنه أينما وجدت العلة لابد من وجود معلول وأينما وجد السبب لابد من وجود مسبب.

ثالثاً- مفهوم المسببات والألفاظ ذات الصلة:

المسبب في اللغة: " **سبب يسبب تسبباً فهو مسبب والمفعول مسبب، مسبب الأسباب أوجدها كان سبباً لها** " [٤].

قال الشاعر:

---

[١] ينظر: مبدأ السببية في الفكر الإسلامي في العصر الحديث، محمود محمد عيد نفيسة، دار النوادر، ١٤٣١هـ-٢٠١٠، ٥٣.

[٢] ينظر: الفروق في اللغة، أبو هلال العسكري، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، ط٤، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ٦٤.

[٣] ينظر: الوجود بين السببية والنظام، إلياس بلكا، ط١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٩م،٢٤.

[٤] معجم اللغة العربية المعاصرة، احمد مختار عبد الحميد عمر (ت:١٢٢٤هـ)، مادة س ب ب ، ١٠٢٢/٢.

قطعـــت أســـبابها ورماهـــا والله عز وجل مسبب الأسباب[١]

فالمسببات تعدُّ نتائج حاصلةً عند الأخذ بالأسباب، فمثلاً الأكل مسبب والنتيجة الحاصلة عنه هو الشبع، وكذلك الدراسة هي سبب للنجاح، والله تعالى هو مسبب الأسباب أي جاعلها بحكمته أسباباً مقيضة إلى نتائجها [٢]، وبذلك فإن السبب يحتاج إلى مسبب " **أن العلم بالسبب ما هو سبب، علم بالمسبِّب ، والعلم بالعلّة بما هي علة علم بوجود المعلول والمراد من العلم بالعلة بالحيثية التي صارت مبدأ لوجود وحده** " [٣].

تبين مما سبق أنه لابد من وجود المسبب عند وقوع السبب ونستطيع القول أن العلاقة بينهما طردية متى وجد السبب يوجد المسبب.

رابعاً- مفهوم القرآن والألفاظ ذات الصلة:

القرآن في اللغة: "**معناه التنزيل من قرأ ، يقرأ ، قراءة وقرآناً**" [٤].

القرآن لغة وإصطلاح: " اسم خاص للكتاب المنزل على بني الإسلام حافلاً بمعاني شريعته وآية باقية على صدق رسالته ويكون تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين " [٥].

---

[١] تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسني، أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي (ت:١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية للنشر، ٣٩/٣.

[٢] ينظر: معنى الأسباب والمسببات، موقع اسلام ويب تاريخ النشر ٨ صفر، ١٤٤١هـ-٢٠١٩م.
https://www.islam web.net/ar atwa/404840.

[٣] الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، المحاضر جعفر السبحاني، بقلم حسن محمد مكي العاملي، ١١٣/١.

[٤] القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت:٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط٨، بيروت- لبنان، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ٤٩.

[٥] التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفة، دار التعارف للمطبوعات، الوجيه المهندس وجيد فكاهي- قم المقدسة، ١٣/١.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [١]، وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [٢]، وقوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [٣].

الآية في اللغة والإصطلاح: الآية: الآية في اللغة له ثلاث معانٍ:

١- **العلامة:** قال تعالى:﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ [٤].

٢- **العبرة:** قال تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ [٥].

٣- الجماعة: يقال خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم [٦] فالآية تحمل أحياناً معنى العلامة وأحياناً أخرى معنى العبرة وأحياناً تعبر عن الجماعة وتختار المعنى المناسب للسياق.

الآية في الاصطلاح: هي طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وعما بعدها[٧].

يتبين مما سبق أن الآية هي مجموعة من الحروف أو الكلمات قد تحمل معنى معين، في حين ذكر أبو هلال العسكري ان الفرق بين العلامة والآية، أن الآية هي العلامة الثابتة من قولك تأبيت بالمكان اذا تحبست به وتثبت ، قال الشاعر:

---

[١] سورة الاسراء، الآية/ ٩.

[٢] سورة ابراهيم، الآية/ ١.

[٣] سورة آل عمران، الآية/ ١٣٨.

[٤] سورة البقرة، الآية/ ٢٤٨.

[٥] سورة المؤمنون، الآية/ ٥٠.

[٦] معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي، ط١، دار القلم، دمشق، ٦١. وينظر: اللباب في تفسير الاستعاذة والبسملة وفاتحة الكتاب، سليمان بن إبراهيم بن عبدالله اللاحم، ط١، دار مسلم للنشر ، الرياض- السعودية، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ٢٠٩/١، وينظر: موجز علوم القرآن، داود العطار، ط٣، مؤسسة الأعلمي- بيروت، ١٤١٥هـ، ١٧٦.

[٧] معجم علوم القرآن، إبراهيم الجرمي،٦١.

وعلمت ان ليست بدار ثابتة فكصفقة بالكف كان رقادي[1]

خامساً- مفهوم الخوارق والألفاظ ذات الصلة

الخوارق لغة واصطلاحاً:

الخوارق لغة: الخرق مصدر الأَخْرق ومعناه الدهش الخوف [2]، مشتقة من خَرَقَ- يَخْرِق- خَرقاً المفعول مَخْروق، الخوارق جمع مفردها (خارقة) ، خَرَق الثوب، مزقه وثقبه قوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ [3]، خرق الأرض جابها قطعها حتى اذا بلغ اقصاها قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾[4]، وقرئت تخرق [5].

فالخارقة أو الخوارق هي الشيء المدهش الملفت غير المعتاد ويكون خارقاً لنظام الأسباب والمسببات القائم عليه الكون بأكمله.

الخوارق في الإصطلاح: **قطع الشيء على سبيل الفساد من غير تدبر وتفكر**"[6]، قال تعالى: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا...﴾ [7]. والخرق عكس الخلق، الخرق بدون تقدير والخلق بتقدير [8] قوله تعالى:﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [9]، خوارق

---

[1] الفروق في اللغة، أبو هلال العسكري، ٦٢.

[2] ينظر: تاج اللغة صحاح العربية المسمى (الصحاح)، أبي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت:٣٩٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، فصل الخاء، ١٢١٣/٤.

[3] سورة الكهف، الآية/ ٧١.

[4] سورة الاسراء، الآية/ ٣٧.

[5] ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر (ت: ١٤٢٤هـ)، مادة خ ر ق، ٦٣٤/١- ٦٣٥.

[6] التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي، ط٣، مركز نشر آثار، العلامة المصطفوي- القاهرة، لندن ، ٢٠٠٩، ٥١/٣.

[7] سورة الكهف، الآية/ ٧١.

[8] ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي، ٥١/٣.

[9] سورة الانعام، الآية/ ١٠٠.

العادات: " **خارق للعادة ما خرج عن الأمر المعتاد** " ... والخوارق ثلاثة أنواع: "**منها ما هو من جنس الغناء عن الحاجات البشرية ومنها ما هو من جنس العلم الخارج عن قوى البشر، ومنها ما هو من جنس المقدور الخارج عن قدرة البشر**"[١].

ومحور كلامنا هو الأخير الذي يكون خارج قدرة البشر فآيات الأنبياء لابد أن تكون خارقة وغير معتادة للبشر وتكون دليل صدق على نبوتهم كإنشقاق القمر مع النبي محمد (ﷺ) وقلب العصا حية مع النبي موسى (عليه السلام) وغيرها، وإن ما حدث للأنبياء من خرق لنظام السببية إنما هو دليل على وحدانية الله تعالى شأنه .

المعجزة لغة واصطلاحاً:

إذا ما أردنا توضيح المعنى اللغوي للفظة المعجزة نجدها: " **اسم فاعل من الإعجاز، نقول أعجز الشيء فلاناً أي فاته ولم يدركه** " [٢]. فتبين العجز هنا هو عدم الحصول على الشيء أو الوصول إليه.

المعجزة في الاصطلاح: هي " **أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي وعدم المعارضة**"[٣]، ومنهم من زاد على هذا التعريف جعله خارقاً لما هو مألوف ومعتاد عليه وفيه منفعة للناس يظهره الله على يد نبي يدل على صدق دعوى ذلك النبي[٤].

---

[١] التعريفات الاعتقادية، سعد بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، ط٢، دار الوطن للنشر، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م، ١٦٥.

[٢] المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتب اللبناني، مكتبة المدرسة ، بيروت- لبنان، ١٩٨٢، ٣٩١/٢.

[٣] شرح المقاصد ، مسعود بن عمر بن عبدالله الشهير سعد الدين التفتازاني (٧١٢-٧٩٣هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ط٢، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨، ١١/٥.

[٤] ينظر: التوفيق على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف بن المناوي (٩٥٢هـ- ١٠٣١م)، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، ط١، عالم الكتب، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، فصل العين ٣٠٢، وينظر: الاء الرحمن في تفسير القرآن، محمد جواد البلاغي النجفي(ت: ١٣٥١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ٣/١.

وتعريفات المعجزة كثيرة جداً لا يمكن حصرها جميعها تصب في معنى واحد إلا أنها تختلف في السعة والشمول والإحاطة.

قال الخوئي (ت:١٤١٣هـ): " **هو أن يأتي المدعي لمنصب من المناصب الإلهية بما يخرق نواميس الطبيعة ويعجز عنه غيره شاهداً على صدق دعواه** "[١]، فالمعجزة هي خرق لقوانين الكون وتغير شامل وقلب للنظام الثابت في الوجود إلى نظام متحول جديد [٢].

فإعجاز القرآن مركب إضافي يتكون من شطرين الشطر الأول إثبات عجز البشر عن الإتيان بمثله والشطر الثاني التحدي واستمراره إلى يوم القيامة [٣].

فمعجزة الرسول (ﷺ) تختلف عن معجزات الأنبياء السابقين(عليهم السلام) فقد بعث الله تعالى النبي محمد (ﷺ) في قوم برعوا بالبلاغة والفصاحة وكانت معجزته القرآن الكريم من أحسن برعوا به أما معجزات الأنبياء السابقين نجد معجزة النبي موسى (عليه السلام) السحر في قوم برعوا بالسحر وكذلك معجزات عيسى (عليه السلام) هي إبراء الأكمه والأبرص في قوم برعوا في الطب[٤].

" **فالمعجزة أمر خارق للسنة التي أودعها الله سبحانه وتعالى في الكون ولا تخضع للأسباب والمسببات ولا يمكن لأحد أن يصل إليها عن طريق الجهد الشخصي والكسب الذاتي**" [٥].

---

[١] البيان في تفسير القرآن، أبو القاسم الخوئي (ت:١٤١٣هـ)، ط٨، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، ٣٣.

[٢] ينظر: أضواء البيان في علوم القرآن، عامر عمران الخفاجي، ط١، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م، ٧٤.

[٣] ينظر: الإعجاز القرآني، محمد طالب الحسيني، محاضرات الدراسات العليا والاولية منشورة على موقع كلية العلوم الإسلامية، جامعة بابل، ٩.

[٤] ينظر: الوافي في تاريخ القرآن وعلومه، عامر عمران الخفاجي، ط٢، ٢٠١٩، ١٥٩- ١٦١.

[٥] الإعجاز القرآني، محمد طالب الحسيني، ١٠.

فتبين مما سبق أن المعجزة خرقت نظام السببية وهي أمر يعجز البشر جميعاً على الإتيان بمثله وتأتي على يد نبي وتدل على صدق دعواه، وممكن أن تدخل ضمن المعجزة هي " **الكرامة وتظهر على يد الأولياء دلالة على صدق أحوالهم عما كانت المعجزات دلالة على صدق نبوتهم** " [١].

فإن الكرامة والمعجزة من الأمور الخارقة للعادة خارقة لنظام الكون نظام الأسباب والمسببات وتقع على يد الأنبياء والأولياء فقط.

إن المعجزة هي برهان من الله يأتي بها النبي ليثبت صدق دعوته، ولا يستطيع المعارضين تكذيبه والمجيء بمثل ما جاء به النبي فيكون خارق لجميع البشر ودليل على إرادة الله القادر [٢].

ولكي يحدث هذا الأمر الخارق على يد نبي أو رسول لابد أن تتوفر فيه مجموعة من الشروط:

١- خارق للعادة: خارقة لقوانين الكون المألوفة والمعتاد عليها مثلا عدم إحراق النار مع سيدنا ابراهيم (عليه السلام)، واحياء الموتى مع النبي عيسى (عليه السلام)، وقلب العصا تسعى مع النبي موسى (عليه السلام).
٢- تختلف عن كرامات الأولياء لأنها تقع على يد نبي وتدل على صدق دعواه.
٣- أن تجري على وفق ما يدعو له.
٤- يجب أن تكون مقرونة بالتحدي، أي أن يتحدى قومه من الإنس والجن أن يأتوا بمثلها.
٥- أن يعجزوا عن المعارضة ولا يستطيعون الإتيان بمثلها فإن استطاعوا فلا تكون معجزة.

وهي بكل الأحوال رسالة إلى العقل الإنساني ليعرف قوة الله وقدراته [٣].

---

[١] الفلسفة الإسلامية، كامل محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٥٧.
[٢] ينظر: معجزات الأنبياء والمرسلين، إعداد سيد مبارك، المكتبة المحمودية ،٥.
[٣] ينظر: معجزات الأنبياء والمرسلين، سيد مبارك، ٦.

سادساً- مفهوم النبي والألفاظ ذات الصلة:

النبي لغة واصطلاحاً:

الأنبياء في اللغة: نبأ النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم [١]، قوله تعالى:﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ * أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [٢]، ومأخوذ من النبوة والنباوة [٣]، وتعني المكان المرتفع [٤]، ومشتق من النبأ ويعني الخير العظيم أو الطريق الواضح [٥]. بذلك فأن الأنبياء تدل على الخير والطريق الصحيح والواضح بالنسبة لمن يؤمن به وبدعوته.

أما إصطلاحاً فالنبي هو إنسان يبعثه الله تعالى ليبلغ ما يوحى إليه وكذلك الرسول[٦]، والنبي من أوحِي إليه ولم يؤمر بالبلاغ [٧]، والرسول مأخوذ من الإرسال وهو من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه [٨]، وذكر أبو هلال العسكري فرقاً بين النبي والرسول، أن النبي محتاج إلى معجزة والرسول قد يكون لغير الله ولا يحتاج معجزة[٩].

---

[١] ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، كتاب النون ٦٢٢/١.

[٢] سورة ص، الآية/ ٦٧.

[٣] ينظر: لسان العرب، ابن منظور، باب النون، ٣٨١٩/٤.

[٤] ينظر: المحيط في اللغة ، إسماعيل بن عباد، النون والباء، ٤٠٣/١٠.

[٥] النبوة والرسالة بين الإمامين الغزالي وابن تيمية، محمد والد لداه ولد أحمد ولد الطالب عيسى ، ط١، دار طوق النجاة، بيروت- لبنان، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م، ٥٣.

[٦] ينظر: شرح المقاصد، مسعود التفتازاني (٧١٢- ٧٩٣هـ)، ٥/٥.

[٧] المدخل إلى الثقافة الإسلامية، إبراهيم بن حماد الريس، أحمد بن عثمان المزيد، خالد بن عبدالله القاسم، علي بن عبدالله الصياح، إدريس بن حامد محمد، ط١٦، مدار الوطن للنشر، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، ١١٨.

[٨] ينظر: المدخل إلى الثقافة الإسلامية، إبراهيم بن حماد الريس، ١١٨.

[٩] ينظر: الفروق في اللغة، أبو هلال العسكري، ٢٨٤.

فالنبي هو من يبعثه الله تعالى للناس ليصحح لهم المفاهيم الخاطئة السائدة لديهم ويرشدهم للطريق الصحيح الذي فيه نجاتهم في الدنيا والآخرة.

السُّنة لغة وإصطلاحاً

السُنة في اللغة: " بالضم وفتح النون المشددة تعني الطريقة سواء كانت حسنة أم سيئة، قال النبي محمد (ﷺ): "**من سَنَّ سُنةً حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة** " [١]، والحديث الشريف: " **فمن رغب عن سنتي فليس مني**" [٢]، والسُّنة مفرد جمعها سنن[٣]. فالسنة هنا هي الطريقة ممكن أن تكون طريقه للخير أو طريقه للشر.

أما إصطلاحاً: قوله تعالى: ﴿**فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا**﴾[٤]، فالآية المباركة بمثابة إعلان قرآني عالمي يعلن عن إنتهاء الخوارق والمعجزات التي حدثت للأنبياء (عليهم السلام) [٥].

السنة في الفكر: " **هي مجموعة القوانين التي يسير وفقها الوجود كله وتتحرك بمقتضاه الحياة، وتحكم جزئياتها ومفرداتها، ولا يشذ عنها مخلوق ، وما في الكون ذرة أو حركة إلا ولها قانون وسنة ويطلق عليها سنة الله لأنها تمثل حكم الله ومشيئته في خليقته** " [٦].

---

[١] موسوعة كشاف إصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهاوني، ٩٧٩/٢.

[٢] التعريفات، الجرجاني، ١٢٢.

[٣] ينظر: القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، سعدي أبو جيب، ط٢، الناشر دار الفكر دمشق- سوريا، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، ١٨٤.

[٤] سورة فاطر، الآية/ ٤٣.

[٥] ينظر: فقه السنن الإلهية ودورها في البناء الحضاري، عادل بو زيد عيساوي، ط١، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م، ٥٩.

[٦] حركة التاريخ في القرآن الكريم، عامر الكفيشي، ط١، دار الهادي للطباعة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، ٢٢٥.

فتبين مما سبق لابد من وجود سنة إلهية تحكم هذا الكون والسنة الإلهية : هي "**حكم الله المطرد في المكنونات** " [١]، فـ (حكم الله) هي قانون الحياة منذ بدء الخليقة إلى يوم القيامة و(الإطراد) يعني الإلزام والجبر ومعناه قانون الله في الخلق وإرادته وقدرته وليس له علاقة بالطبيعة وما شابه [٢].

وردت آيات مباركة كثيرة بخصوص القانون الإلهي في الأرض فالكون مبني على نظام الأسباب والمسببات وفي جميع مجالات الحياة [٣]، قوله تعالى:﴿ **سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا** ﴾ [٤]، وقوله تعالى: ﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ**﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿**سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا** ﴾[٦].

يتبين مما تقدم أن سنة الأسباب والمسببات هي أساس جميع السنن في الحياة سواء كانت سنن تاريخية أم اجتماعية وغيرها وهذه السنة يتم خرقها فقط مع معجزات الانبياء (عليهم السلام) وكرامات الأولياء.

---

[١] مبدأ السببية في الفكر الإسلامي في العصر الحديث، محمود محمد عيد نفيسة، ٧٠.

[٢] ينظر: المصدر نفسه،٧٢.

[٣] ينظر: حركة التاريخ في القرآن الكريم، الكفيشي، ٢٢٦– ٢٢٩.

[٤] سورة الفتح، الآية/ ٢٣.

[٥] سورة فاطر، الآية/ ٤٣.

[٦] سورة الأحزاب، الآية/ ٣٨.

الفصل الأول

مدخل لموقف الفلاسفة المسلمين من السببية

توطئة

المبحث الأول: موقف الفلاسفة المشائين من السببية

المبحث الثاني: الغزالي وموقفه من السببية

المبحث الثالث: ابن رشد وموقفه من السببية

المبحث الأول

السببـــية عند الفلاسفة المشـــائين

توطئة:

إن السببية من الأمور التي شغلت فكر الفلاسفة قديماً وحديثاً فهي قانون الله في الكون ، سأتناول في هذا الفصل رأي المشائين وبداية نتعرف عن سبب تسميتهم يقال إن تلامذة إفلاطون كانوا ثلاث فرق وهم:

١- **الإشراقيون:** أضاءت عقولهم أنوار الحكمة الإفلاطونية.
٢-**الرواقيـون:** هم الذين كانوا يأخذون رواق بيته مكاناً يجلسون فيه ويتلقون الحكمة من عباراته وإشاراته.
٣- **المشائيون:** هم الذين كانوا يتلقون منه الحكمة أثناء مشيهم في ركابه وأن أرسطو أحد هؤلاء، وأن المشائين هم من يمشون في ركاب أرسطو لافي ركاب أفلاطون [١].

وللفلاسفة المشائين آراء مختلفة في موضوع السببية سأبين موقفهم منها:

الكندي:

هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد الأَشعث بن قيس الكندي[٢] (١٨٥-٢٦٠هـ)[٣]، نشأ الكندي في ظروف متباينة في وقت كثرت به الثقافات المختلفة إضافة إلى الثقافة

---

[١] ينظر: الكشكول، محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمذاني بهاء الدين (ت: ١٠٣١هـ)، تحقيق: محمد عبد الكريم نمري، ط١، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ٢٣٩/١.

[٢] ينظر: الفلسفة الإسلامية، أحمد فؤاد اللاهوني، الهيئة العربية للكتاب، ١٩٨٥م، ٦٣.

[٣] مبدأ السببية في الفكر الإسلامي في العصر الحديث، محمود محمد عيد نفيسة، ٩٣.

العربية الإسلامية، وكانت الفلسفة اليونانية والفارسية واليهودية والمسيحية وغيرها، ورغم تعدد الثقافات إلا أن الكندي حاول إبراز ثقافته العربية الإسلامية وبذل كل ما في وسعه [١].

وبذلك عُدّ الكندي أول فيلسوف عربي يستحق اسم فيلسوف الإسلام وهو أول من اعتنى بالفلسفة اليونانية وأخرج لنا مذهباً إسلامياً متكاملاً، وأن أول خطوة قام بها الكندي هي إصلاح الترجمة العربية السيئة وقدمها بطريقة صحيحة وواضحة إضافة إلى عمله لفلاسفة اليونان وخاصة أرسطو [٢] .

ولشدة تأثره بالفلسفة اليونانية له رسالة في كمية كتب أرسطو الفلسفية[٣]، وكان لتأثره بالفلسفة اليونانية أثر واضح في بحوثه عن السببية عن طريق البحث عن العلل والأسباب والموجودات ولا يفكر في علاقة الأسباب والمسببات[٤].

وللكندي عدد كبير من الرسائل الفلسفية سأذكر بعضاً منها:

١- رسالة في حدود الأشياء ورسومها، وهي من رسائل الكندي الفلسفية التي تحدث فيها عن العلة الأولى الفاعلة المبدعة التي تعدُّ أساس العلل، وبين فيها أن العقل هو الأساس في إدراك الحقائق ووضح فيها أن الإبداع هو خلق شيء مغاير ومختلف وذكر الفروق بين الكمية والكيفية فالكمية ترجع

---

[١] ينظر: الفلسفة الإسلامية في المشرق، فيصل بدير عون، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١١٥.

[٢] ينظر: الفلسفة الإسلامية في المشرق، فيصل بدير عون، ١٠٤.

[٣] ينظر: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، محمد علي أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ٢٢١.

[٤] ينظر: مفهوم السببية الإسلامي، أبو حامد الغزالي والكندي – انموذجين، إعداد: سعيدي اسماء، اشراف: دكتور أحمد دكان، ١١.

إلى التساوي أو عدم التساوي في حين الكيفية تتعلق بالتشبيه إن كان هناك شبه أو لا [١].

٢- رسالة في الفاعل الحق الأول التام.

٣- رسالة في وحدانية الله وتناهي جرم العالم.

٤- رسالة في علة الكون والفساد.

٥- رسالة الكندي في السبب الذي له نسبة القدماء الأشكال الخمسة إلى الاسطقسات[٢].

حاول الكندي أن يوفق بين النص الديني والفلسفة اليونانية فلم يستطيع أن ينكر الإطراد الحاصل في الطبيعة، ولم ينكر أن العالم يسير وفق قانون ثابت وبذلك حاول أن يجمع بين العناية الإلهية وبين القانون العام الذي يخضع له الكون بصورة عامة . وذهب إلى نتيجة أن العالم يتكون من علتين العلة الأولى متمثلة بالله تعالى وهي علة مبدعة فاعلة توجد الأشياء من العدم والعلة الثانية أفاده من تقسيم أرسطو للعلل[٣]، سأذكر التقسيم لاحقاً.

فإن الكندي بعدما أكد أن لهذا الكون نظاماً أو قانوناً عام قال: " **إن في نظم العالم وترتيبه وفعل بعضه ببعض وإنقياد بعضه لبعض وإتقان هيئته على الأمر الأصلح في كون كل كائن وفساد كل فاسد وثبات كل ثابت وزوال كل زائل لأعظم دلالة على أتقن تقدير** " [٤].

للكندي رسالتان تخص موضوع السببية:

---

[١] ينظر: https// ar .m-mikisource Org/wiki/

[٢] ينظر: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، محمد علي أبو ريان، ٢٢٠-٢٢١. وينظر: الفلسفة الإسلامية في المشرق، فيصل بدير عون، ١٠٧.

[٣] ينظر: الفلسفة الإسلامية في المشرق، فيصل بدير عون، ١٥٣-١٥٤.

[٤] مبدأ السببية في الفكر الإسلامي في العصر الحديث، محمود محمد عيد نفيسة،٩٣.

الرسالة الأولى: رسالة في الفاعل الحق الأول التام والفاعل الناقص الذي هو بالمجاز[١]، وركز على التفرقة بين الفعل الحقيقي والفعل المجاز وقسم الفعل الحقيقي على أولاً وثانياً وفعل المجاز على أول وثانٍ [٢]، " **وعدّ الكندي الفعل الحقيقي الأول هو عبارة عن تأييس الأيسات عن ليس أي ايجاد الموجودات من العدم فبين ان الفعل الحقيقي الأول لله وهو غاية كل علة ويسمى (الإبداع)** [٣]، **أما الفعل الحقيقي الثاني وهو يلي الفعل الحقيقي الأول وهو أثر المؤثر فيه فالعلة هي الفاعل المؤثر والمعلول هو المفعول المؤثر فيه**" [٤].

وقسم الفعل المجاز إلى قسمين أحدهما يسمى الفعل وينتهي بإنتهاء الفعل مثلا المشي للماشي فهذا الفعل ينتهي حينما يكمل الشخص المشي والقسم الثاني من الفعل المجاز هو الأثر ومعناه وجود أثر للفعل مثل آثار المشي [٥].

٢-**الرسالة الثانية:** رسالته في الإنابة عن العلة الفاعلة القريبة للكون والعباد [٦]، اعتمد الكندي في هذه الرسالة على وجود أربع علل للسببية كما قال ارسطو * تماماً،

---

[١] فكرة السببية عند فلاسفة الإسلام، صفية العدوى خليل ، مج٧، ٢٠١٨م، جامعة بني سويف ، كلية الآداب، ١١٨.

[٢] ينظر: دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، جمال مرزوقي، ط١، ١٥٧.

[٣] فكرة السببية عند فلاسفة الاسلام، صفية العدوى خليل ، مج٧، ١١٨.

[٤] فكرة السببية عند فلاسفة الاسلام، صفية العدوى خليل ، مج٧ ،١١٨، وينظر: دراسات في علم الكلام والفلسفة الاسلامية، جمال مرزوقي، ط١، ١٥٨.

[٥] ينظر: فكرة السببية عند فلاسفة الإسلام، صفية العدوى خليل ، مج٧، ١١٩.

[٦] دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، جمال مرزوقي، ١٥٧.

* أرسطو طاليس(٣٨٤-٣٢٢ق.م): ولد في مدينة يونانية قديمة تسمى أسطاغيرا كان والده طبيباً توفي منذ صغره ولم يأخذ منه شيئاً دخل الأكاديمية ليكمل دراسته ولشدة ذكاءه لقبه افلاطون بـ(العقل) وله مؤلفات كثيرة في شبابه لم تصل الينا اما مؤلفاته في كهولته وصلت إلينا معظمها وله كتب عن الطبيعة وسياسية وفنية وغيرها. ينظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، مطبعة القاهرة، ٣٦٥هـ-١٩٤٦م، ١١٢-١١٦.

وأشار في هذه الرسالة إلى الأسباب والمسببات والعلل والمعلولات التي تحدث من حولنا وأكد أن لكل حادث سبباً ولكل معلول علة [١].

والعلل الأربع التي قالها أرسطو وأخذ بها الكندي هي:

١- **العلة العنصرية (المادية):** وتتمثل في عنصر الشيء الذي يكون منه شيء آخر مثل الذهب.
٢- **العلة الصورية:** التي يجب فيها وجوده مثل صورة الدينار التي بإتحادها مع الذهب كان الدينار.
٣- **العلة الفاعلة:** هو صانع الدينار الذي صور عنصر الدينار بصورة معينة.
٤- **العلة الغائية:** هي غاية الشي مثلاً منفعة الدنيا [٢].

بهذا بين أرسطو ان الشيء يتكون من تلازم هذه العلل مع بعضها ووضح ذلك بمادة الذهب وكون منها الدينار والشكل الذي اختار أو حدد شكل الدينار ثم إن هذه العلل مجتمعة كونت فائدة الدينار، وبذلك تعد العلل الغائية هي الأساس والأهم فكل عمل نُقبِل عليه في الحياة لابد أن يكون له غاية وعلى أساسها نبدأ به.

يرى أرسطو أن أنواع العلل الثلاث الأولى وهي المادية والفاعلة والصورية ممكن جمعها في مجموعة واحدة، وتعدُّ كل واحدة من هذه العلل مبدأ الحركة أو السكون بالنسبة للشيء، أما العلة الغائية فتتميز بأنها هدف نهائي للعلل الثلاث الأولى ولأجلها تعمل الطبيعة وكل شيء بالوجود يحدث لغاية معينة [٣].

---

[١] ينظر: مفهوم السببية الإسلامي، أبو حامد الغزالي والكندي انموذجين، إعداد سعيدي أسماء، إشراف دكتور أحمد دكان، ١٤.
[٢] مفهوم السببية الإسلامي، أبو حامد الغزالي والكندي انموذجين، إعداد سعيدي أسماء ، ١٤.
[٣] ينظر: مفهوم السببية في الفيزياء المعاصرة وعند المتكلمين المسلمين، محمد باسل الطائي، ودة آمال رضا ملكاوي، محمد سعيد الصباريني، تاريخ وصول البحث، ٢٠٠٩/١٢/١٤م، تاريخ قبول البحث ٢٠١٠/٦/٣م، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الثامن، العدد(٢أ) ، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، ١٣.

بين أرسطو أن العلل الثلاث الأولى متلازمة وأن العلة الرابعة هي الأصل من تلازم العلل الثلاث الأولى.

في حين تحدث الكندي عن العلتين المادية والصورية بتلازم بين المادة والصورة فإن العلة المادية مرتبطة بالعلة الصورية ، والعلة الصورية لا تظهر إلا من خلال وجود العلة المادية [١].

يرى الكندي إن الأشياء في الطبيعة تؤثر بعضها بعضاً وإن الأشياء تعمل عن طريق علل وسطية على وفق علاقة تربط العلة بالمعلول رغم إعترافه بالفاعلية الإلهية[٢]، ويقسم العلل على قريبة وبعيدة " **فالعلة الفاعلة البعيدة كالرامي بسهم حيواناً، فقتله فالرامي بالسهم هو علة قتل المقتول البعيدة، والسهم هو علة المقتول القريبة**" [٣].

وفرّق الكندي بين الفاعلية الإلهية والفاعلية السببية :

١-**الفاعلية الإلهية:** تعني ارجاع الأسباب إلى الله الذي هو مسبب الأسباب نسبة المتناهي إلى اللامتناهي ومعنى ذلك أن الله خلق الأسباب مراعاة للبشر وهو المؤثر الحقيقي فيها فمثلاً المرض سبب للموت فيعذر عزرائيل وخلق عزرائيل حتى لا ينسب الموت إلى الله.

٢- الفاعلية السببية: لمن يريد الدنيا وبين القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي**﴾ [٤]، فإن الفاعلية السببية هي الأقوى ثبوتاً[٥].

---

[١] ينظر: دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، جمال مرزوقي، ١٦١.

[٢] ينظر: الوجود بين السببية والنظام، إلياس بلكا، ط١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٩م، ٤٠.

[٣] رسائل الكندي الفلسفية، محمد عبدالهادي أبو ريدة، مطبعة الإعتماد بمصر، ١٣٦٩هـ- ١٩٥٠م، ٣١/١.

[٤] سورة القصص، الآية ٧٨.

[٥] ينظر: منة المنان في الدفاع عن القرآن، محمد الصدر (ت:١٤١٩هـ)، تحقيق: مؤسسة المنتظر لإحياء تراث آل الصدر، ط١، الناشر محبين، قم، إيران، ١٤٣٢هـ، ١١١/٣.

وبذلك فإن الكندي يؤكد فكرة السببية عن طريق الترابط بين العلة والمعلول والسبب والمسبب عن طريق العناية الإلهية التي يخضع لها الكون[١]، وأكد بذلك في كل رسائله الفلسفية إن السبب يؤثر في المسبب والعلة تؤثر في المعلول لكن كل ذلك على وفق إرادة الله تعالى وأكد ذلك من خلال أدلة وجود الله كدليل الحدوث والنظام والإتقان[٢]. يتبين مما تقدم أن الكندي:

١- إستطاع إبراز الثقافة العربية الإسلامية من بين كثير من الثقافات.

٢- رغم تأثره الكبير بالفلسفة اليونانية إلا أنه إستطاع أن يخرج مذهباً إسلامياً متكاملاً.

٣-جمع بين الفلسفة اليونانية وبين الأمور الدينية لأنه كان على يقين بالقانون الإلهي العام الذي يخضع له الكون.

٤- أثبت أن الكون علة فاعلة متمثلة بالله القادر على خلق الشيء من العدم وعلة ثانية أفاده من تقييم أرسطو للعلل.

أبو نصر الفارابي(٢٥٩-٣٣٩هـ) (٨٧٠-٩٥٠م)[٣]:

" **يعد الفارابي أول فيلسوف يتناول البحث بالمسائل العقائدية بالعقل، وقيل: إنه لم يُظهر ذلك في مؤلفاته خوفاً من الظلم والبطش وقرر الإبتعاد عن هذا الصراع فلا نجد في مؤلفاته مالا يتوافق مع الشريعة** " [٤]، لقب بالمعلم الثاني

---

[١] ينظر: فكرة السببية عند فلاسفة الإسلام، صفية العدوي خليل، ١٢٢، وينظر: الوجود بيت السببية والنظام، إلياس بلكا، ١٤٩.

[٢] ينظر: فكرة السببية عند فلاسفة الاسلام، صفية العدوي خليل، ١٢٢-١٢٣.

[٣] الفلسفة الإسلامية، أحمد فؤاد اللاهوني، ٧٠.

[٤] الفلسفة الطبيعية والإلهية عند الفارابي، زينب محمد عفيفي شاكر، تصدير عاطف العراقي، دار الوفاء للنشر، ٣٩.

يوصف أرسطو (المعلم الأول)، فهو فيلسوف إسلامي مع أن أصله تركي ولد بقرية بوسيج العربية اتخذ الإسلام ديناً وتعلم العلوم الدينية والشرعية وانتقل إلى علوم أخرى[١]، فألف في المنطق والرياضيات وعلم الطبيعة والإلهيات والأخلاق والسياسة والاجتماع... الخ [٢].

أكد الفارابي على حتمية العلاقة بين السبب والمسبب والصلة والموصول وأكد تلازم وجود العلة معلولها وإذا كانت هناك علل لا توجد معها معلولاتها فهي ليست علل بالحقيقة وتُعَدّ معدات أو معينات[٣]، وبذلك فإن نظرية الفارابي بالعلل هي مزيج من الفلسفة الأرسطية ويؤمن الفارابي أن المعلول يحدث وجوباً متى حدثت علته[٤].

وإستعمل الفارابي ألفاظاً تعد مرادفة في بعض وجوهها للفظة (علل) فإن أرسطو قسم العلل على مادية وصورية وفاعلة وغائية وقد وضحتها سابقاً والفارابي إستعمل(أسبابا ومبادئ) وهي الأسباب الطبيعية (المادة- الصورة- الفاعلة- الغاية) وبذلك عُدَّ الفارابي مخالفاً لأرسطو من جهة وللمتكلمين من جهة أخرى[٥].

وقسم الفارابي الأسباب على ثلاثة أقسام:

الأول- أسباب قريبة: وهي العلامة المضبوطة على أكثر الأمور.

الثاني- أسباب بعيدة: ولها احتمالين:

أما أن تعلم وتدرك وتحس أو قد تجهل تماماً

---

[١] ينظر: الفلسفة الإسلامية، أحمد فؤاد اللاهوني، ٧٠-٧١.

[٢] ينظر: مبدأ السببية في الفكر الإسلامي في العصر الحديث، محمود محمد عيد نفيسة،٥، وينظر: الفلسفة الطبيعية والإلهية عند الفارابي، زينب محمد عفيفي شاكر، ٣٨.

[٣] ينظر: فكرة السببية عند فلاسفة الإسلام، صفية العدوي خليل، مج٧، ١٢٣.

[٤] ينظر: الوجود بيت السببية والنظام، إلياس بلكا، ٤٠-٤١.

[٥] ينظر: فكرة السببية عند فلاسفة الإسلام، صفية العدوي خليل، مج٧، ١٢٦.

الثالث- أسباب بعيدة جداً: فهي لا تعلم لبعدها لأن لا أسباب لها [١].

يقول الفارابي بخصوص السببية:" **كل مالم يكن فكان فله سبب، ولن يكون العدم سبباً لحصوله في الوجود، والسبب إذا لم يكن سبباً ثم صار سبباً فلسبب صار سبباً، ولن تجد في عالم الكون والفساد طبعاً حادثاً أو اختيار حادثاً إلا من سبب ويرتقي إلى مسبب الأسباب** " [٢]. " يعتقد الفارابي في تقديره للسببية إن الإقتران المشاهد في الوجود بين الأسباب ومسبباتها اقتران تلازم بالضرورة ليس في الإمكان إيجاد السبب من دون المسبب ، ولا وجود المسبب من دون السبب وهذا يؤكد السببية بصيغة واضحة بقوله " **كل ما لم يكن فكان فله سبب** " [٣].

فالفارابي لم يكن من منكري السببية ولكن اشترط لفعل الفاعل المؤثر منفعلاً قابلاً لفعل الفاعل... فالانفعال والآثار الطبيعية ضرورية محتمة الوقوع كلما توفر الفاعل المؤثر والمنفصل المتأثر، مثال ذلك وقوع فعل الأطراف من المعرف بالطبع من المنفعل للإحتراف بالطبع ومثل وقوع التحريك من المحرك بالطبع على المنفعل القابل للتحرك بالطبع [٤].

يتبين مما تقدم أن الفارابي كغيره كان متأثراً بالفلسفة الأرسطية وأكد التلازم بين السبب والمسبب والعلة والمعلول وفي حالة وجود علل ولا توجد معها معلولاتها فتسمى (معدات أو إمكانات) وممكن القول أن نصفها وسيلة يصرف بها العلل وليست المعلولات نفسها وإختلافه عن أرسطو، أن أرسطو استعمل العلل (المادية

---

[١] مبدأ السببية في الفكر الإسلامي في العصر الحديث، محمود محمد عيد نفيسة،٩٤.

[٢] دلائل التوحيد، محمد جمال الدين القاسمي، صححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٤١، وينظر: مبدأ السببية في الفكر الإسلامي في العصر الحديث، محمود محمد عيد نفيسة،٩٣.

[٣] الفلسفة الطبيعية والإلهية عن الفارابي، زينب عفيفي، ٢٨.

[٤] المصدر نفسه، ١٣٣- ١٣٤.

الصورية الغائية) والفارابي استعمل (الأسباب والمبادئ) وبين عن طريق تقسيم الأسباب إنها علاقة قريبة وبعيدة جداً وعد الأولى أنها علامة أكيدة في كثير من الأمور والثانية (بعيدة) لها احتمالين أن تعلم أو تجهل والأخيرة لا نعلم لبعدها أو لا أسباب لها.

ابن سينا وموقفه من السببية:

هو أبو علي الحسين بن عبدالله ابن سينا (٣٧٠-٤٢٨هـ) (٩٨٠-١٠٣٦م) يعدُّ من كبار الفلاسفة الإسلاميين الذي بلغت الفلسفة الإسلامية أوجها على يده وله مؤلفات كثيرة ولم تتقدم الفلسفة بعده وكان أكثر المؤلفين شارحاً لما كتبه أمثال الرازي والطوسي [١]، تأثر ابن سينا كثيراً بالمنهج الأرسطي [٢]، وقد بسطها في (الشفاء) ولخصها في النجاة وكتب فلسفة أخرى في (النجاة) وأخرى في الاشارات [٣]، ولابن سينا كتاب الشفاء استوعب فيه علوم الفلسفة الإسلامية السبعة [٤]، ويعد ابن سينا من الفلاسفة الذين تناولوا موضوع السببية وبصورة أكثر عمقاً وشمولية من الكندي[٥]، " **ونظريته في العلل كانت مزيج من الفلسفة الأرسطية وعناصر من الإفلاطونية**" [٦].

---

[١] ينظر: الفلسفة الإسلامية، أحمد فؤاد اللاهوني، ٧٨.

[٢] ينظر: مفهوم السببية الإسلامي، أبو حامد الغزالي والكندي انموذجين، اعداد سعيدي اسماء، اشراف دكتور، احمد دكان، ١٥.

[٣] ينظر: الفلسفة الإسلامية، أحمد فؤاد اللاهوني، ٨٤-٨٥.

[٤] ينظر: أبجد العلوم، صديق الحسيني القنوجي البخاري (ت:١٣٠٧هـ)، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، لبنان- بيروت، ٤٤٣/٢.

[٥] ينظر: مفهوم السببية الإسلامي، أبو حامد الغزالي والكندي انموذجين، اعداد سعيدي اسماء، اشراف دكتور، احمد دكان، ١٥.

[٦] الوجود بيت السببية والنظام، إلياس بلكا،٤٠.

أرجع ابن سينا العلل إلى حالة مركبة من المادة والصورة فلا صورة بلا مادة ولا مادة بلا صورة [١]، ونظرة ابن سينا للسببية نظرة إيمانية تؤكد العلاقة بين الأسباب والمسببات وتخضع للقدرة الالهية [٢].

فتبين مما سبق من تلازم الصورة مع المادة فأينما وجدت المادة وجدت الصورة والعكس صحيح أيضاً.

" **وبين ابن سينا أن العلاقة بين الأسباب الفاعلة والمسببات المنفعلة عنها والانفكاك أحدهما عن الآخر**" [٣]، فبعد معرفة لزوم السبب مع المسبب وضح ابن سينا العلاقة بينهما بقوله: " **وجود المعلول متعلق بالعلة على الحال التي تكون علة، من طبيعة أو إرادة أو غير ذلك أيضاً، ولها مدخل في تتميم كون العلة بالفعل مثل الآلة: حاجة النجار إلى القدوم أو المادة حاجة النجار إلى الخشب أو المعاون حاجة المنشار إلى منشار آخر، أو الوقت كحاجة الآدمي إلى الصيف، أو الراعي: حاجة الأكل إلى الجوع...** " [٤].

فبين ابن سينا التلازم بين السبب والمسبب وبين العلة والمعلول وبين في مثال الخشب ان السرير يتكون من الخشب فالخشب لا يكون سرير وحده بل بحاجة إلى متممات من نجار وآلة منشار الخ.

وبين ابن سينا إن العلل أربع هي:

١- **العلة المادية:** ويقصد بها المادة (الهيولي) وتحتاج هذه العلة إلى العلة الفاعلة والغائية مثلاً الخشب بالنسبة للسرير، وتعد جزءاً من قوام

---

[١] مبدأ السببية في الفكر الإسلامي في العصر الحديث، محمود محمد عيد نفيسة،٩٥.
[٢] ينظر: فكرة السببية عند فلاسفة الإسلام، صفية العدوي خليل، مج٧، ١٣١.
[٣] مبدأ السببية في الفكر الإسلامي في العصر الحديث، محمود محمد عيد نفيسة،٩٥.
[٤] مبدأ السببية في الفكر الإسلامي في العصر الحديث، محمود محمد عيد نفيسة،٩٦.

الأشياء، فتبين أن العلة المادية هي أساس العلل ولكنها بحاجة إلى العلل الأخرى.

٢- **العلة الصورية:** فهذه العلة هي الثانية وتعد مكملة للعلة الأولى (المادية) فالصورة تحل في المادة وتعطيها الشكل المطلوب وهناك تقارب بين العلة الصورية والغائية فمثلاً الأب يكوّن صورة الطفل من النطفة وهذه من الأمور البديهية وهذه المادة عندما تكوّن الجنين فهي صورة، وحركة النطفة تعد غاية[١].

٣- **العلة الفاعلة:** عرفها ابن سينا " **ان الفاعل هو ما يغير شيئاً آخر وجوداً ليس له في ذاته وليس بلازم أن يكون مؤثراً بالفعل بل أن يكون مفعولاً معروفاً ثم يعرض للفاعل الأسباب التي تجعله أن يكون فاعلاً** " [٢].

٤- **العلة الغائية: هي المعنى الذي لأجله تحصل الصورة في المادة وهو الخير الحقيقي .. وتعتبر نهاية العلل** "[٣].

فتبين مما سبق ذكره أن ابن سينا قسم العلل على أربع (كما قسمها ارسطو) وبين أن العلة الأولى: هي يقصد بها المادة لكن هذه العلة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعلة الصورية كما ذكرت أعلاه مثال السرير الخشبي وهاتين العلتين المادية والصورية بحاجة تامة إلى علة فاعلة مسؤولة عن تشكيلها بالإضافة إلى أن هناك علاقة ترابط وتلازم بين العلل آخرها هي العلة

---

[١] ينظر: مفهوم الخير والشر في الفلسفة الإسلامية (دراسة مقارنة في فكر ابن سينا)، منى احمد محمد أبو زيد، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات، ١٤١١هـ- ١٩٩١م، ١٢٦-١٢٨.

[٢] مفهوم الخير والشر في الفلسفة الإسلامية (دراسة مقارنة في فكر ابن سينا)، منى احمد محمد أبو زيد،١٢٩.

[٣] المصدر نفسه، ١٣٠-١٣١.

الغائيـة وحقيقـة المعتـل علـى عمـل معـين لابـد أن يكـون لـه غايـة فالعلـة الغائيـة هي الغاية أو الهدف التي عن طريقها نبحث عن العلل الأخرى.

المبحث الثاني

الغـــزالي وموقفه مـــن السببيـــة

حياته:

"**هـو أبـو حامـد محمـد بـن محمـد بـن أحمـد الغزالـي، ولـد سـنة (٤٥٠هـ/١٠٥٥م) في طوس**" [١]، كان الغزالي شخصية بارزة ومعروفة وعَلم من الأعلام المعروفين الكبار وله دور كبير في الحضارة العربية الإسلامية [٢]. نشأ في أسرة فقيرة تحب الفقه، توفي والده في مطلع شبابه وتكفل برعايته مع أخيه صديق والده وجعلهم يلتحقون بإحدى المدارس المعروفة آنذاك، ومن هنا كانت انطلاقته لدراسة علوم مختلفة وأكمل تعليمه في مناطق عديدة [٣].

لقب الغزّالي بهذا اللقب بـ:(التشديد) نسبة إلى عمل والده غزل الصوف، وقيل بـ: (التخفيف) نسبة إلى المنطقة التي كان يسكن فيها والقول الثاني هو الأكثر شهرة [٤].

للغزالي كتب ومؤلفات كثيرة أهمها:

١-إحياء علوم الدين: وهو من الكتب السلسة والواضحة الفهم.

---

[١] ينابيع الفكر الإسلامي وعوامل تطوره، محمود غلاب، ط٦، ١٥ جمادي الآخرة، ١٣٨٦هـ، ٣٠ سبتمبر ١٩٦٦م، يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة، ٦٩. وينظر: بين الدين والفلسفة في رأي ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط، محمد يوسف موسى، ١٧٦-١٧٧.

[٢] ينظر: السببية والخلق المتواصل في الفكر الإسلامي الكلامي (الغزالي-ابن رشد-ابن خلدون) اعداد لخضر بوزرارة، إشراف عمار جيدل ، ١٤٢٩-١٤٣٠هـ/٢٠٠٨-٢٠٠٩م، ٤٣.

[٣] ينظر: ينابيع الفكر الإسلامي وعوامل تطوره، محمود غلاب، ٦٩-٧٠.

[٤] ينظر: السببية والخلق المتواصل في الفكر الإسلامي (الغزالي- ابن رشد- ابن خلدون) إعداد لخضر بوزرارة ، إشراف عمار جيدل، ٣.

٢-تهافت الفلاسفة [١].

٣-مقاصد الفلاسفة [٢].

تحدث ابن رشد في كتابه (تهافت التهافت) بأنه كان محيط بمذهب الغزالي وابن سينا في المنطقيات والطبيعيات والإلهيات تمهيداً للرد عليهم، وكان كتابه (تهافت الفلاسفة) بمثابة ضربة قاضية ضد الفلاسفة؛ لأنه عبر فيه عن شكه ببراهين الفلاسفة. وله مؤلفات كثير في علوم ومجالات أخرى منها الفلسفة، المنطق، العقائد (الفقه)، التصوف ،الأخلاف، الأصول [٣].

يعد الغزالي هدم مبدأ السببية [٤]، ورفض التلازم بين الأسباب والمسببات وأكد أن الله قادر على فعل أي شيء وتغيير أي شيء في أي وقت على وفق إرادته فلا يحتاج سبحانه إلى تلازم بين الأسباب والمسببات وذكر أمثلة، سأذكر بعض منها فمثلاً يمكن أن يكون بين يدي أي شخص وحوش ضارية أو أعداء أو نيران أو ما شابه لقتله لكن لا يراها لأن الله تعالى حجب الرؤية عنه [٥].

واستدل الغزالي على رفضه للتلازم بين الأسباب بدليلين الأول (المنطقي)، الثاني (الدليل التجريبي) [٦].

---

[١] ينظر: بين الدين والفلسفة في رأي ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط، محمد يوسف موسى، ١٧٦-١٧٧.

[٢] ينظر: السببية والخلق المتواصل في الفكر الإسلامي (الغزالي- ابن رشد- ابن خلدون) إعداد لخضر بوزرارة ، اشراف عمار جيدل، ٤.

[٣] ينظر: المصدر نفسه ، ٤-٩.

[٤] ينظر: الوجود بين السببية والنظام، إلياس بلكا، ٤٣.

[٥] ينظر: مبدأ السببية في الفكر الإسلامي في العصر الحديث، محمود محمد عبد نفيسة، ١٤٠-١٤١.

[٦] ينظر: السببية والخلق المتواصل في الفكر الإسلامي (الغزالي- ابن رشد- ابن خلدون) إعداد لخضر بوزرارة ، إشراف عمار جيدل، ٣٤-٣٥.

١-الدليل المنطقي: وضح الغزالي هذا الدليل في كتابه تهافت الفلاسفة قائلاً: **"إن الإقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً وما يعتقد في العادة مسبباً ليس ضرورياً عندنا بل كل شيئين ليس هذا وذاك ولا ذاك هذا وليس في ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر والعكس صحيح أيضاً مثل الري والشرب الشبع... وغير ذلك من المشاهدات في الطب والنجوم والصناعات والحرف وإن اقترانها لما سبق من تقدير الله"**[١].

وبين أنه لا يجوز التلازم بين الشرط والمشروط فمثلاً الموت لا يحتاج إلى زجر رقبة والشفاء من مرض معين لا يحتاج أخذ دواء إذا أراد الله تعالى شفاءه وغيرها [٢] ولعلاء الدين الطوسي كلام يشرح به قول الغزالي وألف كتاب في هذا المجال يتحدث فيه عن مذهب الفلاسفة في السببية وكان الكتاب على نسق كتاب التهافت وبين الطوسي أنهم يعتمدون في كلامهم على ما يشاهدون من ترتيب السبب والمسبب وبذلك فقد اعتمدوا على السببية العادية وليس السببية العقلية وبكلامهم يؤكدون تخلف المسبب عن السبب [٣].

٢-الدليل التجريبي: أنكر الغزالي الإقتران السببي بين الظواهر الطبيعية فمثلاً النار في قضية سيدنا إبراهيم (عليه السلام) في قوله تعالى ﴿ **قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا ...**﴾ [٤] خرق مبدأ السببية في قصة إبراهيم (عليه السلام) وإن ما نجهله كيف

---

[١] تهافت الفلاسفة، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق سليمان دنيا، ط٦، الناشر دار المعارف- القاهرة-مصر، ٢٣٧. وينظر موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام -الدرر السنية، إعداد مجموعة من الباحثين بإشراف علوي بن عبد القادر السقاف، الناشر موقع الدرر السنية عل الانترنت، ٩٣/٢. وينظر ابن رشد بقلم عباس محمود العقاد، ٧٧.

[٢] ينظر: مفهوم السببية الإسلامي أبو حامد الغزالي وابن رشد أنموذجين، إعداد سعيدي اسماء، إشراف دكتور أحمد دكار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، كلية الآداب واللغات، ٣٤-٣٥.

[٣] ينظر: الوجود بين السببية والنظام، إلياس بلكا ، ٤٩.

[٤] سورة الأنبياء/ ٦٩.

يغير الله القانون العام، فاختلف العلماء في سبب برودة النار مع النبي إبراهيم(عليه السلام) إلى ثلاثة أقوال الأول هو أن الله تعالى أزال عنها ما فيها من الحرّ والإحراق وأبقى ما فيها من الضوء والإشراق والله على كل شيء قدير، والثاني هو أن الله تعالى خلق في جسم إبراهيم (عليه السلام) قوة مانعة من وصول أذى النار إليه والثالث أن الله تعالى وضع بينه وبين النار حائلاً يمنع من وصول أثر النار إليه، ... وأحد الأقوال إن النار صارت باردة حتى سلك إبراهيم (عليه السلام) منها، لأن النار بقيت كما كانت ولذا قال بعض العلماء "[1]**إن الله تعالى لو لم يقل (وسلاماً) لهلك إبراهيم من النار**" وهنا " **يؤكد أن الله تعالى هو الفاعل سواء أكان بواسطة ملائكته أم غير واسطة لأن النار ما هي إلا جماد ولا فعل لها وان النار هي سبب الإحتراق لأنه اعتمد على المشاهدة فقط. فعندما نضع شيئاً على النار قابل للإحتراق سيحترق وبينوا ان الله سلب الحرارة من النار في قصة النبي إبراهيم(ع) وعوضها بالبرد**"[2]. و"**المنكرين للسببية وقفوا على ما يشاهدون وما يحسون وعندهم المشاهدة تدل على الحصول عنده لا الحصول به**" [3] و" **إن حصول الاحتراق هو من باب العادة الأكثر**"[4]، وبيّن عند إحراق النار مثلاً للخشب هي (ظاهرة مطردة)[5].

---

[1] الوجود بين السببية والنظام، إلياس بلكا، ١٦٥.

[2] ينظر: الفلسفة القرآنية، عباس محمد العقاد، ط٢، يناير ٢٠٠٦م، ١٤.

[3] مجلة الرسالة اصدرها أحمد الزيات باشا (ت١٣٨٨هـ) ٢١، ٣٥٤.

[4] موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام –الدرر السنية، إعداد مجموعة من الباحثين بإشراف علوي بن عبد القادر السقاف، ٩٣/٢.

[5] ينظر: قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والإيمان، نديم الجسر، ط٣، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ١٥٨.

ويكاد يتفق هنا قول الغزالي مع قول نيوتن صاحب مذهب الجاذبية يضرب مثالاً عن جسم يتحرك من (س) إلى (ص) ومن (ص) إلى (ع) ومن (ع) إلى (غ) فإنه سبب حركته من (ص) إلى (ع) أو (ع) إلى (غ) هي حركته من (س) إلى (ص) [1].

" **أدرك الغزالي إن رد كلّ متغيرات العالم إلى الإرادة الإلهية التي حجب علمها عنا وإلغاء ما يظن من تلازم بين الأسباب والمسببات دون معرفة منهج واضح لها**"[2].

يتبين مما تقدم إن الغزالي رفض السببية وأكد أن الله قادر على فعل أي شيء في هذا الكون من دون حاجته للتلازم بين الاسباب والمسببات برفضه للسببية على دليلين، الأول: منطقي والآخر تجريبي وأن الأول اعتمدوا من خلاله على ما يراه في مشاهداتهم من عادة وبيّن أنها ليست تلازم للأسباب والمسببات وإنما هي تقدير مسبق من الله تعالى. والدليل التجريبي هو رد كل ما يحدث في الكون من متغيرات إلى إرادة الله تعالى .

[1] ينظر: مفهوم السببية الإسلامي بين أبو حامد الغزالي والكندي انموذجين، إعداد سعيدي أسماء إشراف دكتور أحمد دكّار، ٣٥-٣٦.

[2] مبدا السببية في الفكر الإسلامي في العصر الحديث، محمود محمد عيد نفيسة، ١٣٩.

المبحث الثالث

ابــن رشد وموقــفه من السببيــة

هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد فيلسوف قرطبة (٥٢٦-٥٩٥هـ) (١١٢٦-١١٩٨م) نشأ في أسرة من الفقهاء وكان أبوه قاضياً وكذلك جده[١]، وكان جده من كبار الفقهاء تعمق ابن رشد في دراسة الفقه [٢]، اشتهر ابن رشد بلقب (شارح أرسطو)[٣]؛ لأنه كان يتناول المسائل الغامضة والمعقدة بالشرح والتحليل بانسجام عقلي وقلبي اضافة إلى ما يتميز به من صفاء الذهن والذكاء وحب الفلسفة[٤]، ومن كتب ارسطو التي تناولها ابن رشد بالشرح هي:

١. تلخيص كتاب ما بعد الطبيعة
٢. شرح كتاب السماء والعالم
٣. كتاب النفس
٤. تلخيص كتاب الاسقاطات أي (العناصر والأصول)
٥. كتاب المزاج
٦. كتاب العلل والاعراض وغيرها [٥]

كان ابن رشد متواضعاً وصاحب جاه عند الناس وكان إمام عصره في الفقه والفلسفة وكان يجمع بين الرواية والعقل في بحثه عن علل الأحكام الشرعية وكان

---

[١] ينظر: الفلسفة الإسلامية، أحمد فؤاد اللاهواني، الهيئة السرية للكتاب، ١٩٨٥م، ١٠٠.

[٢] ينظر: النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد، عاطف العراقي، ط٤، دار المعارف، ١٩٨٤م،٤٣.

[٣] ينظر: الفلسفة الإسلامية، أحمد فؤاد اللاهواني، ١٠١.

[٤] ينظر: بين الدين والفلسفة في رأي ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط، محمد يوسف موسى، الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي، ٣٠.

[٥] ينظر: ابن رشد بقلم عباس محمود العقاد، ط٦، دار المعارف، كورنيش النيل، ٢٧.

على يقين أن الدين متكون من أهداف سامية وأوامر وغايات ووضح ذلك في كتابه (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) [١]، اذ انقسمت مؤلفاته على قسمين:

القسم الأول: ألفها ابن رشد بنفسه منها:-

١- كتاب فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال
٢- كتاب الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة [٢].

وله غيرها كثير وفي مجالات مختلفة الشعر والنحو والفقه وبلغات مختلفة أيضاً يونانية – فارسية- هندية كالفيزياء علم الحيوان والطب والهندسة اضافة إلى كتبه الفلسفية [٣]، وكان له مكانة لا تقل عن مكانة ابن سينا في المشرق وله كتاب بعنوان الكليات يدرس في أوربا إلى جانب قانون ابن سينا [٤].

القسم الثاني: كتب قام بشرحها لا سيما كتب ارسطو

شرح كتب افلاطون*، الأفروديسي وبعض مؤلفات الفلاسفة المسلمين منهم الفارابي وابن سينا والغزالي وابن ماجة [٥].

---

[١] بين الدين والفلسفة في رأي ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط، محمد يوسف موسى، ٣١- ٣٢.

[٢] ينظر: كتاب فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد، قدم له وعلق عليه ألبير نصري نادر، ط٢، دار المشرق ، المطبعة الكاثوليكية، بيروت- لبنان، ١٢- ١٣.

[٣] ينظر: ابن رشد طموحات مثقف مسلم، ترجمة محمد البحري، المنظمة العربية للترجمة دومينيك اورفوا، ٧٥.

[٤] ينظر: الفلسفة الاسلامية، أحمد فؤاد اللاهواني، ١٠٤-١٠٥.

* افلاطون: من الأطباء المشهورين كانت مدة حياته ما يقارب (٦٠ عاماً)، اربعين منها عمل في الدراسة والتعلم وعشرين سنة معلماً رفض افلاطون الإعتماد على التجربة فقط وكذلك رفض الإعتماد على القياس وقيل انه قام بحرق الكتب التي تتضمن رأياً واحداً في التجربة أو القياس، وحافظ على الكتب التي تجمع التجربة والقياس معاً، ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف (ابن أبي اصيبعة)، تحقيق: مزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، ٤١.

[٥] ينظر: فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الإتصال، أبي الوليد محمد ابن رشد، علق عليه ألبير نصري، ١٢-١٣.

وإن ما وصل إلينا من مؤلفاته قليل جداً بالنسبة لعدد مؤلفاته الحقيقية ولا زالت مؤلفاته موجودة باللغة العبرية واللاتينية [١].

"**لقد أقرَّ ابن رشد مبدأ السببية وذكر أن كل ما في العالم يجري على نظام كوني خاضع لمشيئة الله، وأن هذا النظام يقوم على الترابط بين الأسباب والمسببات والعلاقة الضرورية بين كل منهما**"[٢].

إن ابن رشد يؤكد أن نظام الكون قائم على قانون الأسباب والمسببات لكن له رؤيته الخاصة وهي " **رؤية منسجمة مع المعطيات الدينية وكذا التجريبية فقط ربط بين وجود الأسباب كأسباب ذاتية مادية أودعها الله وبين العناية والرعاية الإلهية للكون والحياة**"[٣].

بيّنَ هذه الرؤية من خلال تحليله للعلاقة بين الأسباب والمسببات وبين أن العلاقة بينهما تحتمل ثلاثة أوجه:

"**الوجه الأول: وجود الأسباب لمكان المسببات من الاضطرار مثل كون الإنسان متغذياً.**

الوجه الثاني: أن تكون من جهة الأفضل، أي أن المسببات أفضل وأتم نحو كون الإنسان له عينان.

---

[١] ينظر: بين الدين والفلسفة في رأي ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط، محمد يوسف موسى، ٤٢.

[٢] فكرة السببية عند فلاسفة الإسلام، صفية العدوي خليل، مج٧، ٩٥.

[٣] السببية والخلق المتواصل في الفكر الإسلامي والكلامي (الغزالي – ابن رشد–ابن خلدون)، إعداد لخضر بوزرارة، إشراف عمار جيدل، ١٤٢٩–١٤٣٠ هـ، ٢٠٠٨–٢٠٠٩م، ٣٤.

الوجه الثالث: وهو أن لا يكون بالاضطرار ولا بالأفضل وهو أن يكون وجود الأسباب لمكان المسببات بالإتفاق"[١].

فيبين أن لا يكون هناك حكمة أصلاً ولا تدل على الإتفاق فمثلاً ليس شكل يد الإنسان ولا عدد أصابعه ولا حجمها ضرورياً ولا من جهة الأفضل فالإمساك الذي هو فعلها في جميع الأشياء المختلفة الشكل وموافقتها لإمساك الآلات الصانع فوجود أفعال اليد عن شكلها وعدد أجزاءها ومقدارها هو بالإتفاق[٢].

يتبين من رأي ابن رشد أن علاقة الأسباب بالمسببات تحتمل ثلاثة أوجه أما اضطراراً أو أفضل أو اتفاقاً ورجح أن تكون العلاقة بين السبب والمسبب هي بالإتفاق ومثّل لها بيد الإنسان من حيث إن شكلها يناسب الوظائف التي تقوم بها.

لم ينكر ابن رشد وجود الله وحاول اثبات السببية عن طريق دليلين من أدلة وجود الله.

١-دليل العناية: يقوم دليل العناية على أن يفكر الإنسان بما يدور حوله من موجودات سواء أكانت في السماء أم الأرض[٣] قوله تعالى :﴿ **وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ**﴾ [٤]، يعد دليل العناية طريق مستقيم دل الله تعالى

---

[١] العالم في فلسفة ابن رشد الطبيعية، زينب عفيفي شاكر، تصدير بقلم عاطف العراقي، ١٩٩٣م، مكتبة النهضة المصرية، ٣٤.

[٢] الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشد (ت٥٩٥هـ)، ط١، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، ١٩٩٨م، ١٦٧.

[٣] ينظر: العقل والنقل عند ابن رشد، أبو أحمد محمد بن أمان بن علي جامي علي (ت١٤١٥هـ)، ط١، الناشر الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة، العدد الأول، رمضان ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، ٨٣.

[٤] سورة الجاثية/١٣.

الناس من خلاله على وجوده[١] " **فإن الذي يخترع شيئاً لابد أن يرعاه وإلا وزال وانتهى أمره مع الزمن أو بالإستعمال لكن الكون مستمر ولا يتناقض بل يزيد فلنعلم أن الله أوجده، وأنه يتعهده ويرعاه ويعني به وجعله نظام فريد وانسجام عتيد**"[٢] فنجد الكون بكل ما فيه على نسق واحد من النظام " إن كل ما في الوجود مخلوق وبما أنه مخلوق لابد أن يكون له خالق قوله تعالى :﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [٣].

٢-دليل الاختراع: " **فكل مُخَتَرع لا بد له من مخترع، والكون لا بد له من مكون**"[٤] وكل مصنوع ومخترع لا بد له من صانع ومخترع ويريد ابن رشد في هذا الدليل أن يشير إلى الفطرة المركوزة في كل إنسان والتي تحتم عليه الجزم بأبدية الأسباب والمسببات واستحالة وجود المعلول من دون علة تقتضي وجوده[٥].

فيتبين مما سبق أن كل شيء في الكون لابد أن يكون له صانع يصنعه وهذا الشيء يؤكد فكرة السببية وأنه لا يوجد سبب بلا مسبب ولا علة من دون معلول.

فدليل الإختراع هو النظر في تفاصيل الموجودات في السموات والأرض؛ لأنها لا تدل على وجود الخالق فحسب إنما تدل على وحدانيته وقدراته وإرادته، فمثلاً الأثر يدل على المؤثر وأن كل ما موجود في الحياة يدل على خالق مريد وأبدى

---

[١] ينظر: التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري (ت١٤١٤هـ)، ط١، الناشر دار الغرب الاسلامي، بيروت- لبنان، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ١١٠/٤.

[٢] المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، عبد المنعم الحنفي (معاصر)، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة-مصر، ١٤٢٠هـ، .

[٣] سورة إبراهيم/ ١٠.

[٤] المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، عبد المنعم الحنفي، ٨١.

[٥] دراسات في العقيدة الإسلامية، محمد جعفر شمس الدين، ٨٠.

العلماء إهتماماً كبيراً بدليل الاختراع؛ لأنهم يعتمدون في عملهم على البرهان [١]، ففي قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [٢] وقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٣] وقوله تعالى: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ،خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ [٤] وقوله تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ، هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٥] .

وهناك آيات كثيرة تؤكد دليل الإختراع والإبداع في خلق الله، فهذا الدليل يدركه جميع الناس لكن حجم الإدراك يختلف بين الناس العامة عن إدراك العلماء فإدراك الناس العامة يكون بسيط ومحدود أما إدراك العلماء أقوى وأعمق في فهم الصور الكونية فيعملون على اكتشاف القوانين الإلهية من خلال النظر في إبراز التفاصيل الدقيقة في المخلوقات، فمثلاً جميع الحيوانات على اختلاف أنواعها وأشكالها والعيش في بيئاتها وطريقة تغذيتها إلا أنها من منشأ واحد وإن هذا الاختلاف والتنوع لم يكن صدفة إنما هو دليل على وجود الخالق المبدع ومن صنعه[٦].

---

[١] العقل والنقل عند ابن رشد، أبو أحمد محمد امان بن علي جامي علي (ت١٤١٥هـ)، ٨٣، وينظر: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل مكاوي، الناشر مكتبة دار الزمان، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ١٤٢.

[٢] سورة الغاشية/ ١٧-٢٠.

[٣] سورة غافر/ ٥٧.

[٤] سورة الطارق/ ٥-٦.

[٥] سورة لقمان/١٠-١١.

[٦] ينظر: وظيفة الصورة الفنية في القرآن، الكريم، عبد السلام أحمد الراغب، ط١، الناشر فصلت -حلب، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ٤٤١.

يتبين مما سبق إننا إذا تأملنا في كل ما يدور حولنا من مخلوقات رغم اختلاف أشكالها وبيئاتها ... الخ هو بالتحديد دليل إختراع وإبداع ولم يكن صدفة ابداً إنما يدل على خالق أبدع في خلقه.

وبعد معرفة ما المقصود بدليل العناية ودليل الإختراع يرى ابن رشد أن دليل العناية والإختراع هما دليلا الشرع يقول أبو الوليد: " **إن جميع الموجودات في هذا الكون مناسبة ومفيدة لوجود الإنسان كوجود الشمس، والقمر والنبات والحيوان والأمطار والبحار والهواء والنار بل في أعضاء الإنسان ذاتها دليل على أن موحد هذا العالم قدير عليم لطيف بعباده، ثم يواصل تحليله البديع فيقول : لما كانت جميع الموجودات مخترعة من العدم بعد ان لم تكن دل على أنه لابد من وجود مبدع صانع لهذا الكون قادر على الإختراع لإستحالة تحولها من العدم إلى الوجود بنفسها وذلك المبدع الخالق هو الله إله إلا هو ولا رب سواه**"[١].

وبعد إثباته للسببية بأدلة وجود الله انتقد الأشاعرة بنفيهم العلاقة الضرورية بين الأسباب والمسببات ويقول بالعادة وإن من يرفض هذه العلاقة الموجودة في المحسوسات فهو قول سفوسطائي*[٢].

---

[١] العقل والنقل عند ابن رشد، أبو احمد أمان بن علي جامي علي (ت١٤١٥هـ)، ٨٣.

* سفوسطائي: يقال انها بمعنى النصاب أو المحتال أو المضل أو البليغ أو المنطقي الذي جعل مهنته تخيب الآمال وتهتم بالفروق التافهة، والمنطق الباطل والكلام الخبيث ويرى بعض الباحثين الغربيين أن النزعة السفسطائية أظهرت بشكل بارز التقاليد المبتذلة، والإعتقاد بأنها حسب الطبيعة يسعى كل شخص لمصلحته فقط وأن يكون لديك حضوراً أكثر أو أن تحكم الآخرين، ومنهم من يرى أن السفسطائية نموذج أول للأضطراب واصحاب هذا الرأي يقولون أن السفسطائية متناقضة في ذاتها فجعلت الإنسان معيار الأشياء ومركزية قبولها، ومع ذلك هاجمت أفكاره ومسلماته. ينظر: السفسطائية واثرها في إثارة الشك، عبد الرحمن بن غالب عواجي، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م، ٦-٧.

[٢] مبدأ السببية في الفكر الإسلامي في العصر الحديث، محمود محمد عيد نفيسة، ٩٦.

الفصل الثاني
الأسباب والمسببات في القرآن الكريم والعلاقة بينهما

توطئة

المبحث الأول: السنن الإلهية أقسامها وخصائصها

المبحث الثاني: السببية سنة إلهية وعلاقتها بالتوكل على الله

المبحث الثالث: العلاقة بين الأسباب والمسببات

المبحث الأول

السنـــن الإلهيـــة أقسامها وخصائصها

قبل البدء بذكر خصائص السنن الإلهية لابد من أن نعرف معنى السنن وأنواعها:

السنة تعد ثاني مصادر التشريع الإسلامي، السنة في الفكر هي مجموعة من الأنظمة يسير عليها الوجود كله منذ بدء الخليقة إلى يوم القيامة، والسنن هي القانون الإلهي العام الذي يشمل جميع الناس مؤمنين كانوا أم كافرين[١].

فالله سبحانه وتعالى ربط الكون بأكمله بقانون وربط تقدم أمة أو تخلفها عن الأمم الاخرى بقانون وربط التغير والتفاوت بتطور المجتمعات بقانون، وربط نصر أمة من الأمم عن غيرها بقانون، وهلاك أخرى بقانون أيضاً، وأن كلّ ما يقع بين الناس من أفراد وجماعات له قانون، فكل ما يدور حولنا له قوانين وأنظمة ولا مجال فيها للصدفة أو العشوائية وإن لكلّ منها أسباباً ومسببات تحكمها وإن هذه القوانين تشمل الدنيا والآخرة [٢]، فقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [٣].

---

[١] ينظر: السنن الالهية في تغير المجتمعات في ضوء القرآن الكريم، إعداد: أيمن بن بكيه بن غنام المغربي، اشراف: محمد بن عمر بازمول، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير جامعة ام القرى، كلية الدعوة وأصول الدين قسم الكتاب والسنة، ١٤٢٧-١٤٢٨هـ، ٢٠- ٣٢.

[٢] ينظر: السنن الإلهية في الميدان الاقتصادي، يوسف ابراهيم يوسف، ٢٠٤.

[٣] سورة الشمس، الاية٩-١٠.

إن جواب القسم في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ فالفلاح المقصود في الآية المباركة هو الفوز قد فاز من عمل صالحاً واتقى الله وقد خاب وخسر من غرق في بحر المعاصي والآثام [١].

تبين مما تقدم إن أعمال الإنسان هي سبب دخوله الجنة أو النار، إضافة انه بصلاحه يصلح المجتمع وبتخلفه يتخلف المجتمع لأن الفرد هو النواة الأولى للمجتمع.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [٢]، فالآية المباركة تقرر "**ناموس إلهي اجتماعي يتقلب البشر وفاقه وإن النعم والنقم والخيرات والويلات لا تأتي على الناس عفواً وانما هي منوطة بسلوكهم وسيرتهم فإن كانوا منعمين بالقوة والعزة، والنجاح والصلاح فإنما يكون ذلك بسبب ما يقوم عليه سلوكهم من أسس الإستقامة والحق فلا تبدل حالتهم من الحسن إلى السيء إلاّ إذا انحرفوا عن الطريق القويم الذي يسيرون فيه وإذا كانوا ضعافاً يقاسون الذل والويل والفقر**" [٣].

فتبين مما سبق إن قانوناً إلهياً يسير عليه الإنسان ولا مجال للتخبط فهو من يقرر أن ينعم بالصلاح والخير أو أن يكون من أهل الفساد والذل.

فمفهوم السنة الإلهية : " **هي طريقة الله في معاملة خلقه كل نوع من الخلق حسب المهمة التي خلق من أجلها والطبائع التي ركبت فيه والمواهب والطاقات التي منحت له**" [٤].

---

[١] ينظر: التفسير الوسيط، وهبه الزحيلي (معاصر)، ط٢، دار الفكر، دمشق- سوريا، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ٣/٢٨٨٥.

[٢] سورة الرعد، الآية ١١.

[٣] التفسير الحديث، محمد عزة دروزة (ت: ١٤٠٤هـ)، ط٢، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ٥/٥٢٦.

[٤] السنن الإلهية في الميدان الاقتصادي، يوسف إبراهيم يوسف، ٢٠٥.

يتبين مما تقدم أن السنة هي مجموعة القواعد أو القوانين التي يتبعها الله تعالى مع مخلوقاته كلٍ حسب الوظيفة التي خلقها الله من أجله إضافة إلى تناسبها مع هيئته وتركيبه، فالسنن بصورة عامة أهمية كبيرة جداً لأنها فريضة على جميع المسلمين النظر والتدبر والتفكر في آيات الله وفي خلقه لهذا الكون فالسنن بصورة عامة قسمين :

١-**السنن الكونية:** والتي يعبر عنها " **بالإرادة القدرية الخلقية الكونية وهي الارادة والمشيئة المستلزمة لوقوع المراد الشاملة لجميع الموجودات التي يقال فيها ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن**" [١].

ويمكن القول استناداً إلى القول إن السنة الكونية هي إرادة الله ومشيئته في خلقه فقوله تعالى: **﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾** [٢]، فكانت الآية المباركة في سلسلة الحوار الذي دار بين الرجل المؤمن والرجل الكافر فكان الكافر مغتراً بما عنده من مال وخيرات ويحدثه الرجل المؤمن واعظاً له كيف تكفر بالله وقد خلقك من تراب وكذلك الغذاء من النبات والنبات من الماء والتراب ويتحدث عن وسيلة الانجاب ويخلق الله تعالى الإنسان السوي التام الخلقة وهذا دليل على وحدانيته ويوضح له إنك إذا دخلت بستانك أن تقول: ما شاء الله لا قوة الا بالله، أي أن الأمر كله لله ما شاء كان ومالم يشئ لم يكن وأن لا تستهين بي وتحتقرني لأن أقل منه مالاً وأقل اولاداً وغيره ممكن أن يتغير الحال في الآخرة ويعوضني الله تعالى وبهذا غرورك وتعاليك على الناس وعدم اعترافك

---

[١] السنن الإلهية في تغير المجتمعات في ضوء القرآن الكريم، إعداد أيمن بن نبيه بن غنام المغربي، إشراف: محمد بن عمر بازمول، ٣٢.

[٢] سورة الكهف، الآية ٣٩.

بفضل الله عليك أن يرسل الله عليك عذاباً شديداً كالبرد أو الرياح أو غيرها يتلق كل ما لديك وما أنت مغرور به [١].

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [٢]، فمن يؤمن بإرادة الله تعالى وبكتابه المنزل على النبي محمد (ﷺ) يكون أهلاً للإيمان واتباع طريق الحق والصلاح ومن فسدت فطرته بالشرك ولم يكن على استعداد للإيمان ضيّق الله صدره كأن هناك عازلاً في قلبه عن الإيمان [٣].

وكذلك السنن الكونية تشمل الظواهر الطبيعية قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، فالآية المباركة دليل على إمكان البعث فالأرض أول الأمر ميتة يابسة وتمر بمراحل ابتداءً من سقوط المطر عليها فيدب الله تعالى فيها الحياة وينبت النبات بمختلف أشكاله جميلاً متناسقة ألوانه ومختلفاً في مذاقه، وإن الله تعالى بقدرته يحيي الأرض بعد موتها بقدرته فهو قادر على إحياء الإنسان والنبات والحيوان [٤].

قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [٥]، فنجد الآيات الكونية فقوله (والشمس تجري) فقال الكاشاني (ت: ٩٨٨هـ) :" **تجري في فلكها إلى**

---

[١] ينظر: التفسير الوسيط، وهبه الزحيلي، ١٤٢٧/٥.

[٢] سورة الأنعام، الآية ١٢٥.

[٣] ينظر: التفسير الوسيط، وهبه الزحيلي، ٦٠٦/١- ٦٠٧.

[٤] المصدر نفسه، ١٦٢٨/٢.

[٥] سورة يس، الآية ٣٨-٤٠.

آخر السنة وقوله (لمستقر لها) لحد معين ينتهي إليه دورها، فشبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره أو لمنتهى لها مقدر لكلٍّ يوم من المشارق والمغارب فإن لها في دورها ثلاثمئة وستين مشرقاً ومغرباً تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب حتى تبلغ أقصاها"[1]، فالآيات المباركة دليل على أن الله تعالى عالم بكل الأمور ومحيطها بقدرته، وإن ظاهرة تعاقب الليل والنهار لم تكن صدفة وإنما على وفق نظام ثابت وبكروية الأرض يتكون الليل والنهار فما كان نهاراً صار ليلاً وبالعكس وعبر الباري عز وجل عن هذه الظاهرة بالإنسلاخ أي النهار يأخذ مكان الليل والليل يأخذ مكان النهار على وفق نظام محكم ودقيق وحتى في اختلاف الوقت بينهما حكمة، وكل ما في الكون مسند إلى الله تعالى خالق الكون وسبب الأسباب وشبه القمر بعذق النخلة القديم وبين البارئ عز وجل أن لكلّ من الشمس والقمر أهمية وأحدهما مكمل للآخر في هذا الكون [2].

فالظواهر الكونية حاكمة على الجميع فمثلاً الماء يغلي عندما تصل درجة الحرارة حد معين (درجة الغليان) ويتجمد عند درجة الحرارة صفر (أو ما يسمى بدرجة الإنجماد) وهذه الأمور تبقى نفسها لكلِّ مَن يتعامل بها بغض النظر عن دينه ومذهبه، ففي قوله تعالى ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾[3] .

تشير الآية المباركة إلى دليلٍ رباني لإرشاد العقول إلى ما يدور حولهم في هذا الكون من اختلاف الليل والنهار واختلاف السماوات والأرض وحركة النجوم

---

[1] زبدة التفاسير، الكاشاني(ت: ٩٨٨هـ)، ٥/٥١٥- ٥١٦.

[2] ينظر: الكاشف، محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠هـ)، ٦/٣١٥- ٣١٧.

[3] سورة فصلت، الآية ٥٣.

والكواكب وإحياء الأرض بعد موتها وإحياء الإنسان بعد الموت وخلق الإنسان بأحسن هيئة وحال كل هذه دلائل قدرة الله تعالى وتوحيده [١].

فتبين من الآية المباركة دعوة الله تعالى للناس أن يتفكروا ويتدبروا بما يدور حولهم، فآيات القرآن الكريم كثيرة تخاطب العقل البشري لتدبر ما موجود بهذا الكون وكلما تطورت الاكتشافات العلمية يجدون التوافق بين ما يتوصل اليه العلماء وبين ما ذكره القرآن من مئات السنين [٢].

فالسنن الكونية جميعها قائمة على نظام الأسباب والمسببات " **وإن سنن الكون قابلة للخرق بالمعجزات على وفق لإرادة الله ومشيئته** "، وأن السنن الجارية تتوقف عند خرق أسبابها لتواجد السنن الخارقة النادرة ثم تعود السنن الجارية لوضعها الطبيعي بعد إنتهاء أسباب الخرق وكل هذا الخرق تتعلق بحكمة الله ومشيئته[٣].

٢-السنن الشرعية: " والتي يعبر عنها بالإرادة الدينية الشرعية المتضمنة للمحبة والرضا"[٤]، وخلق الله الإنسان بيده وكرمه وفضله على كثير ممن خلق " **والإنسان كذلك مخلوق من مخلوقات وهو محتاج إلى سنة يسير عليها في جميع أحواله**

---

[١] ينظر: الكاشف، محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠هـ)، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ٦/٥٠٧-٥٠٨.

[٢] ينظر: الدليل الالكتروني للقانون العربي، كيفية التعرف على السنن الإلهية من خلال القرآن الكريم، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات - المجلد السادس، العدد الأول، ٢٠٠٤، ١٣.

[٣] ينظر: السنن الإلهية وتفسير القرآن الكريم في العصر الحديث، إعداد: عمر حيدوسي، إشراف عبد الحميد بوكعباش، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الإسلامية، جامعة الحاج الخضر باتنة، ٣٥٥- ٣٦٢.

[٤] السنن الإلهية في تفسير المجتمعات في ضوء القرآن الكريم، إعداد: أيمن بن نبيه بن غنام المغربي، إشراف: محمد بن عمر بازومول، ٣٣.

ليسعد في الدنيا والآخرة وجعل سبحانه سعادة الإنسان وشقاءه مرتبط بمدى تمسكه بها الدين أو إعراضه عنه وجعله مختاراً في قبوله ورده" [١].

يتبين مما تقدم أن السنن الشرعية تشمل جميع الأحكام المتعلقة بحياة الإنسان عن طريقها يمكن كسب الدنيا والآخرة وترك الله للإنسان حرية الإختيار أما طريق الصلاح والنجاة والفوز بالآخرة وأما البقاء في طريق الجهل والضلالة وخسارة الدنيا والآخرة[٢].

وهذه السنن رتب الله تعالى أحكام شرعية رتبها تعالى على مقدماتها من عقوبة أو نصر أو استخلاف أو تمكين وغيرها، والشواهد القرآنية عن هذه السنن كثيرة سأذكر البعض على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [٣]، يجب إبقاء الحرية كاملة للناس للدخول في الإسلام وعدم الإجبار، وإن الله عز وجل جعل قتال المشركين للمسلمين سبباً لقتلهم ونلاحظ هنا التكافؤ في السبب والنتيجة فقتل المشركين للمسلمين فعل تكافأ مع قتالهم للمسلمين[٤].

تبين للقارئ مما تقدم أن قتال المسلمين مع المشركين هو نتيجة لأن السبب المشركين وبدئهم بالقتال.

---

[١] موسوعة الفقه الإسلامي، محمد بن ابراهيم بن عبدالله التويجري، ط١، الناشر بيت الأفكار لدولية، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ٣٣٦/٥.

[٢] ينظر: أساليب التربية والدعوة والتوجيه من خلال سورة إبراهيم، وسيم فتح الله، الناشر: موقع وزارة الاوقاف، السعودية بدون بيانات، ٦١.

[٣] سورة البقرة، الآية ١٩١.

[٤] الأخذ بالأسباب كحقيقة إسلامية في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية، محمد علي عزب، مجلة كلية التربية بالزقازيق، العدد ٦٧، ابريل ٢٠١٠، ٧.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [1]، الآية المباركة تقرر قواعد وأسس الدين وأولها الكتابة فيجب كتابة الدين ويجب أن يكون كاتب الدين عادلاً لا يزيد ولا ينقص ولا يضر بأحد، فكانت الكتابة هي ضمان لحقوق الطرفين المدين والدائن [2].

فالآية المباركة كانت بخصوص الدين وكان الدين سبباً لإهتمام الناس بالكتابة وكذلك لحفظ الحق الدائن لتجعله مطمئناً بأن حقه مضمون وكذلك لا يمتنع الدائن من إقراض المدين أو المحتاج وبذلك تستقيم الحياة ويكون تعاون بين الناس [3].

تبين مما تقدم أن السنن الشرعية تشمل جميع ما يخص الإنسان من معاملات وغيرها، ففيها تنظيم لحياة الإنسان مع نفسه ومع الآخرين وفي جميع الأوقات سواءً كان في السلم أو الحرب.

فسنة الله العامة التي لا تقبل تغير أو تبديل قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [4]، فنجد هناك فرق بين سنة الله الكونية وبين سنة الله الشرعية فالأحداث الكونية معروفة وواضحة أما الأحداث الشرعية فهي كثيرة ومختلفة ومتشعبة ويمكن للمتأمل أن يعرف نتائجها عن طرائق معرفة أسبابها لكن لا يمكن معرفة وقت وقوع النتيجة

---

[1] سورة البقرة، الآية ٢٨٢،

[2] ينظر: التفسير الوسيط، وهبه الزحيلي، ١٦٤/٥..

[3] ينظر: الاخذ بالأسباب كقيمة إسلامية في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية، محمد علي عزب، مجلة كلية التربية بالزقازيق، العدد(٦٧)، ابريل ٢٠١٠، ٧.

[4] سورة الفتح، الآية ٢٣.

فمثلاً الحاكم الظالم نحكم بسقوطه مهما طالت مدة حكمه لكن لا نعلم على وجه الدقة ميعاد ذلك [١].

" فهناك علاقة وطيدة وعروة وتقى الإلهية بين السنن الجارية والسنن الخارقة لأن كلاهما مشكاة واحدة ومصدر الجميع الله سبحانه وتعالى وما هذه السنة وتلك الا أثر لإظهار أفعال الله تعالى وان كانت السنن الخارقة تمضي على غير المألوف للناس، فإن السنن الجارية تمضي على ما يألفون ويعرفون لذلك تعبدهم الله تعالى بالتعامل مع هذه السنن وهم يأثمون إذا قصروا في التعامل أو تركُوها من دون استفادة منها، فالمسلم المعاصر لا يعيش الآية في زمن المعجزات وانما يعيش في زمن السنن الجارية التي لا تتوقف ولا تتأجل وهو مطالب للتعامل معها " [٢].

خصائص السنن الإلهية

السنن الإلهية كثيرة ومختلفة فمنها السنن التاريخية وسنن الاستخلاف والنصر والتمكين وغيرها وأساس جميع السنن هي سنة الأسباب والمسببات وجميع السنن تتميز بخصائص هي:

١- الثبات: معناه تبقى ثابتة لا تتغير ولا تتبدل على مختلف الأزمان مصداقاً لقوله تعالى: **﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾** [٣]، فلولا هذه الخاصية لما استطاع البشر أن يستفيدوا منها [٤] فالآية المباركة تثبت أن

---

[١] ينظر: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ٢٤.

[٢] مفهوم السنن الربانية دراسة في ضوء القرآن، رمضان خميس زكي، ٦١- ٦٢.

[٣] سورة فاطر، الآية ٤٣.

[٤] ينظر: السنن الالهية – حقيقتها – وادراكها في ضوء القرآن الكريم، ذو الكفل محمد يوسف، مجلة معهد الامام الشاطي للدراسات القرآنية، العدد السابع، جمادى الاخرة، ١٤٣٠هـ، ٩٦.

سنن الله ثابتة باقية لا تتغير ولا تتبدل فجاء استعمال القرآن للفظة (تبديلا) نكرة أي نسخ ولفظة (تحويلا) فنجد الأحكام التكليفية ثابتة كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [1]، فالآية المباركة هي اطمئنان للقانون الإلهي [2]، بأن كل ما ورد في القرآن الكريم من أوامر ونواهي ووعد وعيد وقصص الأنبياء لا يتغير ولا يتبدل والله عليم بكل ما يدور للعباد من حركاتهم وسكناتهم ويجازي كل انسان بعمله فقوله تعالى: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ إن معاني القرآن الكريم لا تتغير مدى لحياة فمثلاً أراد المنافقون أن يتبعوا الرسول (ﷺ) في غزوة تبوك قوله تعالى: ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾[3] إلا أن الله تعالى منعهم من ذلك ولم يسمح لهم بالخروج، وبين الله تعالى لسنة محمد (ﷺ) سبب منعهم من الخروج معه بقوله ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾، فمنعهم الله تعالى من الخروج بقوله﴿ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾[4]، وأبان الله تعالى الحلال والحرام وحرّم أكل ذبائحهم لعدم ذكرهم اسم الله عليه [5].

" **فالنفي الموجود بالآية (لن تجد) يقطع بالاطراد والاستمرارية وعدم التخلف**"[6]، فتغير الثبات والاطراد هي أول صفة للسنن الإلهية فمثلاً عقوبة أهل المكر السيء لا تُبدل إلى المؤمنين لأنه وعيد لهم والعكس صحيح أيضاً.

---

[1] سورة الانعام، الآية ١١٥.

[2] ينظر: السنن الالهية في تفسير المجتمعات في ضوء القرآن الكريم، اعداد: أيمن بن نبيه بن غنام المغربي، اشراق محمد بن عمر بازمول، ١١-١٢.

[3] سورة الفتح، الآية ١٥.

[4] سورة التوبة، الآية ٨٣.

[5] ينظر: التفسير الوسيط، وهبه الزحيلي، ٥٩٩/١.

[6] ينظر: السنن الإلهية في الميدان الاقتصادي، يوسف إبراهيم يوسف، ٢٠٥.

فتبين مما تقدم أن الخصيصة الأولى للسنن الإلهية الثبات مدى الحياة لا تتحول ولا تتغير فهي أمر عام يشمل جميع الموجودات والأحكام ومختلف الاوقات وغير قابل للتعديل أو التغير.

٢-قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا * سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [١]، تبين الآية المباركة سنة الله تعالى في عقاب المخالفين لسنته ومنهجه وأن الله مهلكهم لا محالة فهذه سنة الله تعالى وقانونه فالآية تهدد اليهود بالإبادة لأنه خالفوا الرسول (ﷺ) يوم بدر إلا قليلاً منهم فعرض المشركون على النبي محمد (ﷺ) ترك دينه وارادوا الفتنة به ولو وافقهم الرسول (ﷺ) على ما جاءوا به لأصبح صديقهم وخليلهم لكن الله تعالى تبث قلب النبي (ﷺ) على طريق الحق وعصمه من طريق الانحراف والضلال [٢].

الخاصية الثانية- الشمول والعموم:

القوانين الكونية تشمل جميع الظواهر الطبيعية، والمجتمعات الإنسانية جميعها محاطة بسنن تاريخية وإجتماعية ولولا هذه السنن لسادت الفوضى فالإنسان محكوم بسنة التنفس ليحيا وسنة التغذية ليعيش وسنة الزواج لإستمرار النسل ولا يستطيع أن يوقف حركة الدم في الجسم ولا دقات القلب فهذه السنن تجري على جميع الموجودات في الأرض من أصغر ذرة إلى أكبر جرم [٣] قوله تعالى﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [٤].

---

[١] سورة الإسراء، الآية ٧٦- ٧٧.

[٢] ينظر: التفسير الوسيط، وهبه الزحيلي، ١٣٧٦/٢.

[٣] ينظر: السنن الإلهية حقيقتها وإدراكها في ضوء القرآن الكريم، ذو الكفل محمد يوسف، ١٠٠.

[٤] سورة آل عمران، الآية ٨٣.

فما جاء بالتفسير الوسيط ان سبب نزول الآية اختلاف بين أهل الكتاب أيهم على دين ابراهيم فذهبوا إلى رسول الله (ﷺ) ليحكم بينهم فبين لهم الرسول (ﷺ) أن كليهما بريء منها دين إبراهيم فغضبوا ولم يرضوا بقضائه فأنزل الله تعالى الآية المباركة ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ يفهم من الآية المباركة أن جميع رسالات الأنبياء تصب في معنى واحد وهو توحيد الله وعبوديته وأن يتركوا الخلافات والنزاعات على الأمور الدنيوية أو يؤمنوا بأن الله تعالى واحد لا شريك له والنبي محمد (ﷺ) آخر الأنبياء ووحد الناس جميعاً في القرآن الكريم ويتميز المسلمون أنهم يؤمنوا بجميع الرسل والأنبياء وفقاً للتعاليم القرآنية [1].

فالشمول يعني " **أنها تشمل كل البشر بلا استثناء ولا تفريق ولا محاباة فهي عامة، يسري حكمها على الجميع دون محاباة ولا تميز بغض النظر عن أديانهم وجنسياتهم غير مقتصرة على فرد من دون فرد ولا على قوم من دون قوم** " [2]، فقوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ * هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [3] .

الخاصية الثالثة – الإطراد:

ومعناه التكرار فتتكرر متى ما تكررت الظروف بغض النظر عن الزمان والمكان والأشخاص وهذا ما نشاهده في القرآن الكريم ففيه الكثير من قصص الأنبياء

---

[1] ينظر: التفسير الوسيط، وهبه الزحيلي، ١/٢٠٩- ٢١٠.

[2] السنن الإلهية في تفسير المجتمعات في ضوء القرآن، اعداد: ايمن بن بنية بن غنام المغربي، اشراف محمد بن عمر بازمول، ١٣، وينظر: السنن الإلهية في الميدان الاقتصادي، يوسف إبراهيم يوسف، ٢٠٦.

[3] سورة آل عمران، الآية ١٣٨.

والغرض منها العبرة والعظة ولولا الإطراد لما امكن الإفادة منها أو الاتعاظ بها[١]، ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [٢]، نزلت الآية المباركة في بنو النضير ولم يتوقع أحد أن يخرجوا من ديارهم لأنهم كانوا متمكنين مادياً (بالأموال والممتلكات والمعدات)، ومعنوياً عندما أمر الله تعالى نبيه بإخراجهم من المدينة فألقى الله تعالى الخوف والرعب في قلوبهم فقاموا بتخريب ديارهم لكي لا يفيد منها المسلمون وأن من يعادي الله ورسوله يتلقى عذابين الأول دنيوي وآخروي في يوم القيامة [٣].

يتبين مما سبق أن سنة الله مطردة مع الناس جميعاً فمن يخالف التعاليم الدينية التي جاء بها الإسلام ينال عقابه في الدنيا والاخرة وهذا ما نجده في جميع قصص الأنبياء.

" وإن إطراد السنة الإلهية وإستمراريتها وعدم تخلفها لا يتنافى أو يتعارض مع حقيقة ثابتة وهي طلاقة المشيئة الإلهية، ذلك ان مصدر السنة ومجريها هو الله سبحانه وتعالى فالله تعالى هو الذي أعطى السنة الإلهية إطرادها واستمراريتها وثباتها وعدم تحولها أو تبدلها " [٤].

---

[١] ينظر: السنن الإلهية في تفسير المجتمعات في ضوء القرآن الكريم، إعداد: أيمن بن بنيى بن غنام المغربي، اشراق محمد بن عمر بازمول، ١٦.

[٢] سورة الحشر، الآية ٢.

[٣] ينظر: التفسير الوسيط، وهبه الزحيلي، ٣/٢٦٢٣-٢٦٢٤.

[٤] ينظر: السنن الإلهية في الميدان الاقتصادي، يوسف ابراهيم يوسف، ٢٠٦.

المبحث الثاني

السببية سنة إلهية وعلاقتها بالتوكل على اللّه

تعد السببية قاعدة عامة وهي " **أحدى المبادئ الاولية في العقل البشري عند العقليين** *، **وليس كذلك عند التجريبيين** " * [١]، إذ تُمثل " **العلاقة بين السبب والمسبب**" [٢].

وإن كل ما يحدث في هذا الكون على وفق قانون ولا يوجد مجال للصدفة، وان العقل يتفحص كل ما يحدث بالكون ويدرك بديهياً أن كل شيء في الكون له أسباب ومسببات، والفطرة تثبت أن أساس المزروعات البذور وأن أصل الفرخ هي البيضة وهذه الأمور وغيرها جميعها صادرة عن الله تعالى[٣].

---

* العقليين: العقل عندهم أساس المعرفة ومنهم الماتريدية يقولون: إن العقل يدرك حسن الاشياء وقبحها، وتحمل لفظة العقلانية معنيان عام ومقيد فالمعنى العام للعقلانية هو الإلتزام بمقاييس عقلية تعد أساس لأي نظام فلسفي وبذلك يعتبر كل الفلاسفة هم عقلانيون، ولفظة العقلانيين يفهم منها انهم يعتمدون على قدرات الانسان العقلية ويؤمنون بنتاجات العقل الفكرية وهي شرط أساسي لكل بحث فكري، ينظر: موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، إعداد مجموعة باحثين بإشراف الشيخ علوي عبد القادر السقاف، ٢/٢٣٤، الناشر موقع الدرر السنية على الانترنت ثم تحميله في ربيع الاول ١٤٣٣هـ، وينظر: العقلانية فلسفة متجددة ، جون كوتنغهام، ترجمة: محمود منقذ الهاشمي، ط١، الناشر مركز الانماء الحضاري، حلب، ١٩٩٧م، ١٣- ١٧.

* التجريبيين: اساس عملهم مأخوذ من التجربة، وتعد التجربة والخبرة الحسية لديهم أساس المعرفة. ينظر: الاسس المنطقية للإستقراء (تراث الشهيد الصدر ج٢)، محمد باقر الصدر (ت: ١٤٠٠هـ)،ط٢، بزوهشاه علمي تخصصي شهيد صدر ، ٢/٣٨٢. وينظر: المدرسة الإسلامية ، محمد باقر الصدر (ت: ١٤٠٠هـ)، ط١، الناشر مركز الابحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر(قدس)، ١٤٢١هـ، ٤١. وينظر: العقلانية فلسفة متجددة، كون كونتغهام، ترجمة مجمود منقذ الهاشمي، ١٧.

[١] مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي (دراسة نقدية في ضوء الاسلام)، عبد الرحمن بن زيد، ٥٣٩.

[٢] مبدأ السببية في الفكر الإسلامي في العصر الحديث، محمود محمد عيد نفيسة، ٥٥.

[٣] ينظر: فقه السنن الإلهية ودورها في البناء الحضاري، عادل بوزيد عيساوي، ط١، ١٤٣٣هـ- ٢٠١١م، ١٦٤.

والآيات التي تؤكد هذا القانون الإلهي العام والشامل كثيرة جداً ولا يمكن حصرها فلا يوجد شيء من دون سبب والآيات التي تنفي السببية ظاهرياً إنما تنفي ذاتية السببية واستقلالها عن الله تعالى [١]، كقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ [٢]، وبخصوص الآية المباركة قال الطوسي (ت:٤٦٠هـ): " **ان الله تعالى أمر نبيه (ﷺ) أن يقول لمن أنكر البعث والنشور قل لهم إنكم ومن تقدمكم وتأخر عنكم مبعوثون ومحشورون إلى يوم القيامة** " [٣].

يتبين مما تقدم أن الآية المباركة توجه العقول للتفكر بالنشأة الأولى للإنسان ومن خلقكم من العدم قادر على إعادتك للحياة يوم البعث.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ * وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [٤]، فالآية المباركة تستجلب انظار المنكرين والمراد بالنظر هنا التفكر في معرفة عظمة الله تعالى في خلق السموات العالية الواسعة وما فيها من عجائب وإجرام سماوية متناسقة بدقة لا نقص فيها أو عيب [٥]، فالله تعالى زين السماء بالنجوم اللامعة وهذا الجمال هو أصدق شاهد على قدرة الله تعالى وبسط الله تعالى الأرض لتلائم عيشة الإنسان وثبتها بالجبال فكل ما في الكون من عجائب تدل على خالق قادر [٦].

---

[١] ينظر: مفهوم السببية في الفيزياء المعاصرة وعند المتكلمين المعاصرين، محمد باسل الطائي، ودة آمال رضا ملكاوي، محمد سعيد الصباريني، ١٠.

[٢] سورة الواقعة، الآية ٥٨-٦٣.

[٣] التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ٥٠١/٩.

[٤] سورة ق، الآية ٦-٨.

[٥] ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيرازي/١٧.

[٦] ينظر: الميزان ، الطباطبائي، ٣٣٦/١٨.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١).

التوكل في اللغة: قبل ذكر تفاصيل المعنى الاصطلاحي للتوكل لابد من الاطلاع على المعنى اللغوي إذ إن التوكل : " **وكل بالله يكل وتوكل على الله وأوكل واتّكل : استسلم إليه** " (٢)، والتوكل من: " **أعمِّ المقامات تعلقاً بالأسماء الحسنى**"(٣)، والوكيل: " **فعيل بمعنى مفعول** " (٤)، قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (٥).

فالتوكل صورته تأتي على وزن تفعّل بكسر الواو أو فتحها تعني اظهار العجز والاعتماد على الغير (٦).

وهناك وجهان للتوكل فالأول " **توكلت لفلان بمعنى توليت له، ويقال وكلته فتوكل لي، والآخر توكلت عليه وبمعنى اعتمدته**"(٧) قوله تعالى: ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾(٨)، وقوله تعالى:﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (٩).

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٨.

(٢) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، ١٠٦٩.

(٣) الفهارس العلمية لآثار ابن قيم الجوزية، إعداد علي بن محمد العمران- محمد عزيز شمس- محمد أجمل الاصلاحي- نبيل بن نصار السندي، ط٢، الناشر دار عطاءات العلم (الرياض)، دار ابن حزم ، بيروت، ١٤٤٢هـ-٢٠٢١م، ١٠٢٨/٢.

(٤) المفردات في غريب القرآن ، أبي القاسم الحسين بن محمد (الراغب الأصفهاني)، ٦٨٩/١.

(٥) سورة الاحزاب، الآية ٣.

(٦) ينظر: التوكل على الله وعلاقته بالأسباب، عبدالله بن عمر الرميجي، ١٤.

(٧) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ٦٨٩/١.

(٨) سورة التوبة، الآية ٥١.

(٩) سورة الطلاق، الآية ٣.

التوكل في الاصطلاح:

أما المعنى الاصطلاحي لهذه اللفظة فالتوكل: " **هو الثقة بالله في العهود ويعني أن تؤمن بان ما كان مقدراً لك فهو واصل إليك ولو عارضك العالم، وكل مالم يقسم لك فلن تحصل عليه بجدك واجتهادك... وقال آخرون ان لا ترجوا غير الله ولا تخشى سواه، فالتوكل هو التسليم ظاهراً وباطناً** " [١].

يتبين مما سبق أنه تسليم قلبي بمعنى أن نتوكل على الله ونباشر بعمل ما ونتقبل النتيجة مما كانت لأن أساس كل عمل هو التوكل على الله.

وقال ابن أبي الدنيا (٢٠٨-٢٨١هـ) إن " التوكل هو اعتقاد [٢] وهذا ما دلت علية الآية المباركة قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [٣].

فتبين مما تقدم هناك تقارب بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي هو التسليم القلبي والإعتماد على الله تعالى.

حقيقة التوكل وعلاقته بالأسباب والمسببات:

إن للتوكل حقيقة بينها الامام الغزالي بقوله: " **أعلم ان التوكل من أبواب الإيمان، وجميع أبواب الإيمان لا تنتظم إلا بعلم وحال وعمل وهو الثمرة، وحال هو المراد باسم التوكل، فلنبدأ ببيان العلم الذي هو الأصل وهو المسمى إيماناً في أصل اللسان اذ الإيمان هو التصديق، وكل تصديق بالقلب هو علم، واذا قوي**

---

[١] موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، مراجعة رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، نقل الفارسي إلى العربية عبدالله الخالدي، الترجمة الاجنبية جورج زيناتي، ٥٣٣/١.

[٢] التوكل على الله، أبي بكر بن أبي الدنيا (٢٠٨- ٢٨١هـ)، تحقيق: جاسم الفهيد الدوسري، ١٩.

[٣] سورة هود، الآية ٦.

سمي يقيناً ولكن أبواب اليقين كثيرة، ونحن إنما نحتاج منها إلى ما نبني عليه التوكل، وهو التوحيد الذي يترجمه قولك : لا اله الا الله وحده لا شريك له... "[1].

فبعد أن بين الغزالي أن التوكل تصديق قلبي وهو من أبواب الإيمان قال ابن القيم(٦٩١- ٧٥١هـ): " **إن التوكل حال مركبة من مجموع أمور لا تتم حقيقة التوكل إلا بها: وكلٌ أشار واحد من هذه الامور أو اثنين أو ثلاثة** " [2]، يتبين من التعريف أعلاه ان التوكل يتكون من أمور كثيرة سأذكرها جميعها وأبين ما تعني كل واحدة منها.

الأمر الأول: " **معرفة الرب وصفاته: من قدرته وكفايته، قيموميته، وإنتهاء الأمور إلى علمه، وصدورها عن مشيئته وقدرته وهذه أول درجة يضع بها العبد قدمه في مقام التوكل** " [3].

فتبين مما سبق أول أمور التوكل أن يكون الإنسان على معرفة تامة ويقين بقدرات الله تعالى ومشيئته في إدارة الأمور.

الأمر الثاني: إثبات الأسباب والأخذ بها: هناك من يعتقد أن الأخذ بالأسباب ينافي التوكل وانه يجب على المؤمن الاعتماد على البارئ عز وجل من دون الأخذ بالأسباب ومن يأخذ بهذا الاعتقاد فإنه لا يعلم أن معنى

---

[1] إحياء علوم الدين، أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ)، ومعه المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الاحياء من الأخبار للعلامة زين الدنيا أبي الفضل الطرافي (٧٢٥-٨٠٦هـ)، دار ابن حزم، ط١، بيروت- لبنان، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، ٢٤٥/٤. وينظر في الطريق إلى الله (٣ التوكل)، يوسف القرضاوي، طبعة الفرقان الاولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

[2] مدارك السالكين بين منازل " إياك نعبد وإياك نستعين" ، أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن ايوب ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ)، تحقيق: رضوان جامع رضوان، (بدون سنة طبع)، مؤسسة المختار، القاهرة، ٥٢٤/١. وينظر: الفهارس العلمية لآثار الإمام ابن قيم الجوزية، إعداد علي بن محمد العمران، محمد عزيز شمس، محمد أجمل الاصلاحي- نبيل بن نصار السندي، ١٠٢٧/٢.

[3] المصدر نفسه، ٥٢٥/١.

التوكل الحقيقي الذي هو توكل على الله مع الأخذ بالأسباب [1]، يقول الرازي بشأن ذلك: " **التوكل هو أن يراعي الإنسان الأسباب الظاهرة ولكن لا يعول بقلبه عليها بل يعول على عصمة الحق** " [2]، فنجد في تأويل الآية المباركة قوله تعالى: ﴿**إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [3].

فتبين الآية المباركة ان الأمر كله لله أما أن ينصركم مثلما حدث في معركة بدر أو الناس كما حدث في يوم أحد فكان الاستفهام انكاري فمن يستحق النصر ينصره الله ولا يستحق يخذله الله وقوله ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ تفويض الأمور إلى البارئ عز وجل فلا ناصر سواه [4]، فتحقيق التوكل لا ينافي الأخذ بالأسباب يكون اعتماده على الاسباب ليس مطلقاً بأنها تؤدي إلى الخير وإنما يكون على ثقة ورضا بما يكتبه الله له من نتيجة سواءً أكانت خير أم لا، فوحده سبحانه خالق الأسباب والمسببات قوله تعالى:﴿ **وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ...**﴾ [5]، فما يكون على يقين تام أن الله يقدر نتائج اعمال الإنسان ويجعل من الآية

---

[1] ينظر: القدرة الالهية والاسباب في القرآن الكريم (سورة مريم أنموذجاً)، رحاب رفعت فوزي عبد المطلب، ٢٩٦.

[2] مفاتيح الغيب التفسير الكبير، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، ط٣، الناشر دار إحياء التراث ، بيروت، ١٤٢٠هـ،٤١٠/٩. وينظر: اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ٢١/٦. وينظر: محاسن التأويل ، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، الناشر دار الكتب العلمية- بيروت، ٤٤٩/٢.

[3] سورة آل عمران، الآية ١٦٠.

[4] ينظر: محاسن التأويل ، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي ٤٤٩/٢.

[5] سورة الكهف، الآية ٢٣- ٢٤.

المباركة اطمئنان روحي للإنسان قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، والآية المباركة خير دليل على أن الإنسان يجب عليه أن يتوكل على الله تعالى في أموره الدنيوية والاخروية ويكون على يقين أن الله وحده المعطي والمانع ولا يضر ولا ينفع سواه [١].

وقال ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ): " **إن التجرد من الأسباب جملة ممتنع عقلاً وشرحاً وحساً** " [٢].

فهناك فرق كبير بين توكل والتواكل فعلى الإنسان أن يبذل ما في وسعه للوصول إلى نتيجة معينة هذا يسمى توكل أما ترك كل شيء بحجة الأمور بيد الله فهذا تواكل [٣].

إذ جاء رجل إلى النبي (ﷺ) فقال: يا رسول الله أعقلها وأتوكل ؟ أو أطلقها وأتوكل ؟ فقال: " **أعقلها وتوكل** " **فأثبت التوكل مع السبب وهو عقلها** "[٤] فتبين من الحديث أعلاه يجب التوكل على الله تعالى في كل الامور والاخذ بالأسباب .

---

[١] ظ- التوكل على الله- خالد بن عبد الرحمن الشايع، الناشر: موقع كلمات – دار الوطن شبكة الالوكة ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

[٢] مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ)، تحقيق: حامد رضوان، ٥٣٧/١.

[٣] ينظر: المصدر نفسه، ٨، وينظر: التوكل على الله في القرآن الكريم (دراسة في التفسير الموضوعي)، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة، وأصول الدين، إعداد معتوقة بنت محمد حسن بن زيد حسان الحساني، إشراف عبد الحميد عمر الأمين، العام الدراسي ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ١٣٩.

[٤] التوكل أبي يعلي محمد بن الحسين الفراء الحنبلي(٣٨٠-٤٥٨هـ)، تحقيق يوسف بن علي الطريف، ط١، الميمان للنشر، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م، ٤٣. وينظر: الاحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما، ضياء الدين أبو عبدالله محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت:٦٤٣هـ)، تحقيق: عبد الملك بن عبدالله بن دهيش، ط٣، ٢١٦/٧. وينظر: سنة الله في الأخذ بالأسباب، علي الصلابي، ٥٢.

وقد بين الفيروزآبادي (ت: ٨٧١هـ) منزلة التوكل بقوله : " **إن التوكل نصف الإيمان، والنصف الثاني الإنابة، فالتوكل هو الاستعانة والإنابة هو العبادة**" [١].

الأمر الثالث: " **رسوخ القلب في مقام التوحيد فلا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيده فحقيقة التوكل هي توحيد القلب** "[٢]، ومعناه إطمئنان قلبي لأن التوحيد هو: " **علم العبد بان الله عز وجل واحد وحكمه وإخباره عنه واحد** " [٣].

الأمر الرابع: اعتماد القلب على الله: " **أي لا يبقى فيه اضطراب من تشويش الاسباب ولا سكون اليها بل يخلع السكون إليها من قلبه** " [٤]، ومعنى ذلك يبقى القلب بلا إضطراب مهما بلغت الاسباب من اختلاف شدة أو ضعف وهذه هي علاقة صحة التوكل فإذا أراد شخص شيئاً ما وأخذ الاسباب واعتمد وتوكل على الله في ذلك ولم يحصل له ما أراد فعليه أن لا يكون في قلبه حرج من ذلك، وأن يكون على يقين أن الله حرمه منه لفائدة له وليعلم ان ما تعسر أمر ما الا بتقدير الله ولو تيسر فبإرادة الله وتيسيره[٥]، وقد مثل ذلك ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ) " **إن التوكل كالطفل لا يعرف شيئاً يأوي إليه الا ثدي أمه كذلك المتوكل لا يأوي الا إلى ربه** "[٦].

---

[١] بصائر ذوي التميز ولطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي، ٢٦٧/٥.

[٢] مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ)، ٥٢٦/١، وينظر: التوكل على الله تعالى وعلاقته بالأسباب، عمر الدميجي، ٢٠.

[٣] الرسالة القشيرية، أبو القاسم القشيري، تحقيق: عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، الباب السابع والاربعون، (التوحيد)، ٤٩٣.

[٤] مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ)، ٥٢٧/١.

[٥] ينظر: التوكل على الله ، أسماء بنت راشد الرويشد، مصدر هذه المادة الكتيبات الإسلامية، دار الوكن للنشر، ١٨.

[٦] مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ)، ٥٢٧/١.

نلاحظ أن الأمور أعلاه أحدهما مكمل للآخر ويجمعان في اليقين والإيمان الصادق.

الأمر الخامس: حسن الظن بالله عز وجل : فعل قدر حسن الظن الانسان بالله يكون توكله [١].

ونستطيع القول أن أساس التوكل هو حسن الظن بالله، فالمتوكل عبارة " **عن موحد قوي القلب مطمئن النفس إلى فضل الله تعالى واثق بتدبيره دون وجود الاسباب الظاهرة** " [٢].

الأمر السادس: استسلام القلب: " **تمام التسليم هو ان لا تريد الا ما أراده الله ولا تحب الا ما أحبه الله ولا تبغض الا ما أبغضه الله وان يلتزم بما أمر الله بالفعل أو الترك** " [٣]، وأن يكون لديه اطمئنان في اعتماده على الله تعالى [٤].

الأمر السابع: التفويض :"هو روح التوكل ولبه وحقيقته وهو إلقاء الأمور كلها إلى الله "[٥]، يقول المديجي بخصوص ذلك إن " **التفويض براءة وضوح من الحلول والقوة، وتسليم الأمر كله إلى مالكه عز وجل** " [٦]، وقد جاء في دعائه(ﷺ) اللهم أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري اليك... "، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: سألته

---

[١] ينظر: بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، ٢٧٣/٥. وينظر: التوكل على الله وعلاقته بالأسباب، المديجي، ٢.

[٢] اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، مرتضى الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، ط٣، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت– لبنان، ١٤٢٦هـ، ٢٢١/١٢.

[٣] التوكل على الله وعلاقته بالأسباب، المديجي، ٢٢.

[٤] ينظر: السنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بما في العقيدة والسلوك، إعداد شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، اشراف عثمان عبد المنعم يوسف، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه جامعة ام القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة فرع العقيدة، ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م، ٦٥٨/٢.

[٥] مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية ، ٥٢٧/١.

[٦] التوكل على الله وعلاقته بالأخذ بالأسباب، الدميجي، ٢٣.

عن قول الله عز وجل : ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [١]، فقال التوكل "**على الله درجات منها ان تتوكل على الله في أمورك كلها، فما فعل بك كنت عنه راضياً، تعلم أنه لا يألوك خيراً وفضلاً وتعلم ان الحكم في ذلك له، فتتوكل على الله بتفويض ذلك إليه واثق به فيها وفي غيرها** " [٢].

فالسنة النبوية أكدت على الأخذ بالأسباب والتوكل عل الله... عن النبي (ﷺ) قال: " **لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير، تغدوا خماصاً، وتعدوا بطاناً** "[٣]، فالله تعالى تكفل برزق جميع المخلوقات وأثبت الغدو والرواح للطير وضمن لهم الأرزاق [٤].

فالتوكل والرضا متلازمان التوكل سبق الرضا عندما تقدم على أمر ما يكون توكل والرضا بالنتيجة سواء كان وقوع الأمر مثلما تريد أم لا يسمى رضا [٥].

وسأذكر نموذجين من القرآن يؤكد أن سنة الأخذ بالأسباب:

١- قوله تعالى: **﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ * وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾** [٦].

---

[١] سورة الطلاق، آية ٣.

[٢] الأصول في الكافي، أبي جعفر بن يعقوب الكليني الرازي (ت: ٣٢٨-٣٢٩هـ)، ٤٦٨/٢.

[٣] المغني عن حمل الاسفار في الاسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار، أبو الفضل العراقي (ت: ٨٠٦هـ)، ١٦٠/٢.

[٤] ينظر: سنة الله في الأخذ بالأسباب، علي محمد محمد الصلابي، مطبعة ابن كثير، ٢٠١٦م، ٥٢- ٥٣.

[٥] ينظر: التوكل على الله وعلاقته بالأسباب، المديجي، ١٤.

[٦] سورة الانفال، الآية ٦٠-٦١.

اهتم القرآن الكريم إهتماماً كبيراً بإرشاد الأمة إلى الأخذ بأسباب القوة ولم يكتفي بالاهتمام فقط بل أوجب عليهم الأخذ بالأسباب [١]، وأوجب عليهم إعداد القوة في الآية المباركة أعلاه، فالمقصود بالإعداد هو تهيئة الشيء للمستقبل والضمير في (لهم) راجع إلى الكفار والتعبير القرآني (ما استطعتم) يشير إلى أقصى حدود الطاقة[٢]، والمقصود بلفظة (من قوة) تحضير المعدات والأسلحة لمواجهة العدو [٣]، وتدريبهم على الرمي بالسهم[٤]، لقد كان النبي محمد (ﷺ) : ولرسولنا الكريم محمد(ﷺ) حديث بهذا الخصوص" **إلا أن القوة الرمي**"[٥]، والرباط هو اسم الخيل التي تربط في سبيل الله [٦].

يتبين مما سبق أن الله سبحانه وتعالى أكد على الأخذ بالأسباب في أثناء الحرب وعليهم أن يستعدوا مادياً ومعنوياً لمواجهة ما يحيط بهم من أخطار.

٢- قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا﴾** [٧] في الآية المباركة ارشاد المؤمنين " الذين يتصفون بصفات الإيمان ونصرة الحق ومستجيبون لله ورسوله " **بأن يأخذوا حذرهم ويستعدوا للقاء العدو بكل ما لديهم من إمكانات مادية ومعنوية وعليهم أن لا يستسلموا ويقعدون في ديارهم**"[٨]، وبين الزمخشري (ت:٥٨٣هـ) أن (الحِذْر والحَذر) معناهما واحد

---

[١] ينظر: سنة الله في الاخذ بالأسباب، علي الصلابي، ١٣.

[٢] فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، علي محمد الصلابي، ٢٢١.

[٣] ينظر: الكشاف، الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، ٢/٢٣٢.

[٤] ينظر: زهرة التفاسير، أبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، ٦/٣١٧٤.

[٥] غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، محمد ناصر الدين الالباني (ت: ١٤٢٠هـ)، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ٢٠١٨م، وينظر: التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ﷺ ، منصور ناصف، ط٣، دار إحياء الكتب العربية- مصر، ١٣٨١-١٣٨٢هـ- ١٩٦١-١٩٦٢م، ٤/٣٥٧.

[٦] الكشاف، الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، ٢/٢٣٢.

[٧] سورة النساء، الآية ٧١.

[٨] ينظر: زهرة التفاسير، أبي زهرة (١٣٩٤هـ)، ٤/١٧٥٦.

ويقال: أخذ حذره إذا تيقظ واحترس، أي الحذر ان تلاقون العدو مجتمعين أو تكونوا جماعات متفرقة سرية بعد سرية[1]، قيل إن معنى إحذروا عدوكم معناها تهيئة بالسلاح [2].

فتبين مما سبق أن على المؤمنين أن يكونوا مستعدين للقتال من كل النواحي من تهيئة خطة لمواجهة العدو وإعداد الأسلحة وغيرها.

[1] الكشاف، الزمخشري، ٥٣٢/١.

[2] ينظر: التفسير الوسيط، الواحدي ، ٥٧٩/٦.

المبحث الثالث

العــلاقة بين الأسباب والمسببــات

ترتبط الأسباب بالمسببات ارتباطاً وثيقاً وكذلك النتائج بالمقدمات وهذه تعدمن أهم الظواهر القرآنية التي تميز بها القرآن الكريم وحث الناس على الأخذ بها، إذ أن العلاقة بين الأسباب والمسببات من المسائل التي كان وما زال الخلاف قائماً فيها والناس في هذه المسألة ذهبوا إلى ثلاثة أقوال:

القول الأول- إن الأسباب لا تأثير لها البتة في مسبباتها وهذا القول ينسب إلى الاشاعرة وإلى بعض الحنفية والحنابلة وعندهم السبب لا يؤثر في الحكم وعندهم إذا كان السبب موجب للحكم فهو معرف للحكم لا غير[1]، وبهذه الحالة فإن "**الأسباب مجرد علاقات وإن المسبب حصل عند السبب لا بالسبب، وهؤلاء ضلوا سمعاً وعقلاً، حتى أنه لو رمى الانسان زجاجة بحجر ثم تكسرت لقال: الحجر لم يكسر الزجاجة لأنك لو قلت هذا لكنت مشركاً – والله المستعان**" [2].

فتبين مما تقدم أن أصحاب هذا القول ينكرون الصلة الوثيقة بين الأسباب والمسببات ويعدون السبب مجرد علاقة ترشدهم للحكم .

القول الثاني: إن الأسباب مؤثرة وفاعلة بذاتها: فهذا قول المعتزلة وعندهم السبب يؤثر في المسبب، والعلة تؤثر في المعلول وعندهم أن الله

---

[1] ينظر: الأسباب ودورها في تحقيق المقاصد دراسة تطبيقية للقصة القرآنية، يوسف الزيوت، ٨. وينظر: المسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين، محمد العروسي عبد القادر، مكتب الرشد، ١٧٨.

[2] تفسير القرآن الكريم (سورة الانعام)، محمد بن صالح العيثمين، ط١، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م، ٢٤٣.

تعالى خلق الإنسان وأعطاه القدرة على التصرف في قيامه وقعوده [١]، " وأن أصحاب هذا القول أثبتوا تأثير الاسباب لكنهم غلو في ذلك وجعلوها مؤثرة بذاتها وهؤلاء وقعوا في الشرك حين أثبتوا موجداً مع الله تعالى وخالفوا السمع والحس، فقد دل الكتاب والسنة واجماع الأمة على أنه لا خالق إلا الله، كما أننا نعلم بالشاهد المحسوس أن الأسباب قد تتخلف عن مسبباتها بإذن الله، كما في تخلف إحراق النار لإبراهيم الخليل(عليه السلام) حين ألقى فيها فقال تعالى:﴿ يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [٢]، فكانت برداً وسلاماً عليه ولم يحترق بها [٣]، فتبين مما تقدم أن أصحاب هذا القول (المعتزلة) بالغوا في وصفهم بتأثير الأسباب بالمسببات ولم يجعلوا لقدرة الله تعالى تأثيراً فيها وبينوا أن الله تعالى خلق أفعال العباد وتصرفاتهم وأعطاهم القدرة على ذلك.

القول الثالث: إثبات تأثير الأسباب الطبيعية في المسببات بإرادة الله ومشيئته[٤]: ففي قصة قوله تعالى:﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٥]، فتلك الآية المباركة هنا على سبيل المثال لا الحصر، فالأسباب تؤثر بالمسببات مشروط بمشيئة الله تعالى فالجملة الشرطية في الآية المباركة أعلاه

---

[١] ينظر: الأسباب ودورها في تحقيق المقاصد القرآنية ودراسة تطبيقية للقصة القرآنية، يوسف الزبوت،١٠.

[٢] سورة الأنبياء، الآية ٦٩.

[٣] الاستنباط عند الخطيب الشربيني (ت: ٩٧٧هـ)، في تفسيره السراج المنير جمعاً ودراسة، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – كلية أصول الدين – قسم القرآن وعلومه، إعداد أسماء بنت محمد بن عبد العزيز ناصر السبر، ١٤٣٧-١٤٣٨هـ، إشراف: عبد العزيز ناصر السبر، ١٣٣.

[٤] الأسباب ودورها في تحقيق المقاصد : دراسة تطبيقية للقصة القرآنية، يوسف الزيوت، ١٠، وينظر: السببية في العلم وعلاقة المبدأ السببي بالمنطق الشرطي، السيد نفادي، ٣٥.

[٥] سورة البقرة، الآية ٢٠.

تبين إمهال الله تعالى للمنافقين فلم يعذبهم مباشرة ليزداد عقابهم [١] فكان تأخر العقوبة لزيادة العذاب.

" **دلّ القرآن الكريم على أن كل شيء يحدث بسبب سواء كان هذا الحدث يتعلق بالجماد أو بالنبات أو بالحيوان أو بالإنسان أو بالأجرام السماوية أو الظواهر الكونية المادية المختلفة** "[٢]، فهذا القانون عام وشامل يشمل جميع ما في الكون من موجودات وهو في غاية الدقة والشمول والإحكام ولا يخرج منه شيء ولا يفلت منه مخلوق [٣]، فكل الأشياء في الحياة لها أسباب والله تعالى ربط الأسباب بمسبباتها والمقدمات بنتائجها[٤].

وهذا الربط هو سنة الله شرعاً وأمراً قوله تعالى: ﴿**فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا**﴾ [٥]، فالمسببات مرتبطة بالأسباب شرعاً وإن طلب المسببات من دون الأسباب مذموم، وإنكار الأسباب هو نقص في العقل، فنلاحظ هناك فرقاً في معاني الكلمات في الآية المباركة فـ(التبديل) معناه يأخذ الشيء مكان غيره والتحويل تصير شيء ما في مكان غير الذي كان فيه أما التغير هو أن يكون الشيء مخالفاً لما كان عليه في الأساس، فسنة الله ثابتة لا تقبل التغيير والتبديل أو التحويل، فسنة الله في تعذيب

---

[١] ينظر: الاستنباط عند الخطيب الشربيني (ت ٩٧٧هـ)، في تفسيره السراج المنير، إعداد أسماء بنت محمد بن عبد العزيز الناصر، إشراف عبد العزيز بن ناصر السبر، ١٢٨.

[٢] السنن الالهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، ٢١.

[٣] ينظر: المصدر نفسه، ٢١.

[٤] ينظر: القدرة الإلهية والأسباب في القرآن الكريم سورة مريم أنموذجاً، رحاب رفعت فوزي عبد المطلب، مجلة الدراسات الإسلامية والبحوث الأكاديمية، العدد (٦٤)، ص٢٩٢.

[٥] سورة فاطر، الآية ٤٣.

المكذبين ثابتة لا تتغير ولا يبدل الله تعالى عادته في عقوبة من كفر به وجحد نعمته وربوبيته [١] .

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [٢]، فالتدبير الإلهي بكل ما يدور حولنا فالسماء وما فيها من نظام بديع يعجز الانسان عن فهمه وإحياء الأرض بالنباتات المتنوعة والمختلفة وذات الألوان الزاهية جميعها دليل على وحدانية الله وربوبيته وكل ما له روح في الحياة والتصرف بالرياح وكيفيتها أحياناً حارة وأحياناً باردة وأحياناً عاصفة وأخرى هادئة وأحياناً تكون للرحمة وأخرى للعذاب، يتبين مما سبق أن وراء كل ظاهرة من هذه الظواهر أسباب وفيها منفعة للكائنات الحية بصورة عامة، وكذلك قوله تعالى:﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [٣]، فلا مجال بهذا الكون للصدفة[٤]، فإن كلّ شيء بقدر على مقتضى الحكمة، فهو مقدرٌ ومكتوبٌ في اللوح قبل وقوعه وعن الحسن: على قدر معلوم فخلقنا اللسان للكلام، واليد للبطش والرجل للمشي والعين للنظر، والأذن للسماع، والمعدة للطعام، ولو زاد أو نقص عما قدرناه لما تم الغرض، وقيل: معناه جعلنا كل شيء شكلا يوافقه ويصلح له كالمرأة للرجل والاتان للحمار، وثياب الرجال للرجال، وغيرها [٥].

---

[١] ينظر: زبدة التفاسير، الملا فتح الله الكاشاني (ت: ٩٨٨هـ)، ط١، مؤسسة المعارف ، قم- إيران، ١٤٣٢هـ، ٤٩٣/٥.

[٢] سورة البقرة، الآية ١٦٤.

[٣] سورة القمر، الآية ٤٩.

[٤] ينظر: سنة الله في الاخذ بالأسباب، علي الصلابي، ٧٨- ٧٩.

[٥] زبدة التفاسير، الكاشاني، ٥٣٧/٦.

يتبين مما سبق أن الله تبارك وتعالى قدر كل شيء في هذا الكون أحسن تقدير فلكل شيء في الوجود شكله الخاص ووظيفته الخاصة به ولو جاء على غير ذلك الهيئة لما صلح لتلك الوظيفة.

" **وقد جعل الله تعالى الدنيا خاضعة لقانون الأسباب والمسببات فكل شيء في الحياة خاضع لعلل ومعاليل وقوانين وأنظمة خاصة فلا يمكن أن يصل الإنسان إلى الهدف من دون أن يوفر الأسباب الموصلة اليه** " [١]، فالأسباب صارت أسباباً لما أودع لها فيها من معاني السببية وكل هذا بتقدير البارئ عز وجل [٢]، ونصوص القرآن الكريم والسنة النبوية حافلة وآمرة باتخاذ الأسباب المشروعة في مختلف النواحي فقد أمر الإنسان بالعمل والسعي للرزق [٣]، قوله تعالى:﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [٤]، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [٥].

وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [٦]، قيل أن الخطاب لليهود فكان حبهم للدنيا ما عندهم من كثرة الأموال يمنعهم من الوفاء بعهدهم مع النبي محمد (ﷺ) والاستعانة بالصلاة لأنها تبعدهم عن الرذائل وتنهى عن الفحشاء والمنكر [٧].

---

[١] السياسة وقانون الأسباب والمسببات، محمد حسين شيرازي، طباعة مؤسسة المجتبى، الناشر مركز القائمية بأصفهان، ٧، وينظر: القدرة الإلهية والأسباب في القرآن الكريم، سورة مريم أنموذجاً، رحاب رفعت فوزي عبد المطلب، ٢٩٢.

[٢] ينظر: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، ٢٦-٢٧.

[٣] ينظر: الحكمة والتعليل في أفعال العباد بين القضاء والقدر)، تقديم عبدالله عمر موسى ستاكو، إشراف: محمد السيد البساطي، ١٠.

[٤] سورة الجمعة، الآية ١٠.

[٥] سورة الملك، الآية ١٥.

[٦] سورة البقرة، الآية ٤٥.

[٧] مقتنيات الدرر، الحائري (ت: ١٣٥٢هـ)، ١٥٧/١.

فهذه الآيات المباركة وغيرها كثير تحث الإنسان على العمل وكسب الرزق من خلال إتباع الأسباب.

" **وإن ما يصيب الانسان من خير أو شر يمنح الانسان رؤية تركيبية واضحة للربط بين الأسباب والمسببات** " [١]، فكل ما يتعلق بمصالح العباد من مأكل ومشرب وإتباع الأوامر واجتناب النواهي وأفعاله بصورة عامة له أسباب ومسببات [٢].

ففي الحديث عن النبي محمد (ﷺ) : " **إن الله تعالى يحب العبد المؤمن المحترف** " [٣]، فيدل الحديث أن الله يحب العبد الساعي لأسباب رزقه المتخذ بالأسباب المتوكل على الله للوصول إلى الرزق.

وبهذا فإن القرآن الكريم يحكم بقانون العلية وهو أن قد وجد السبب كشف عن تحقيق المسبب لا محالة [٤].

" **فالإحراق يكون بالنار ما أودع الله فيها من معاني الحرارة المستوجبة للإحراق إلا أن الإحراق يحدث عند وجود النار أو الشبع أو الغذاء يكون أو يحصل بأكل الخبز أو غيره لا عند الاكل، والولد يخلقه الله في بطن امه بإلقاء ماء الرجل في رحم الأم لا أنه يحمل عند هذا الإلقاء والنبات يكون بالبذر لا عند البذر وإنما صارت المسببات ناتجة عن أسبابها لما أودعه الله في هذه الأسباب من معان**

---

[١] حركة التاريخ في القرآن الكريم، عامر الكفيشي، ط١، دار الهادي للطباعة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، ٢٩٠.

[٢] ينظر: السنن الإلهية في تفسير المجتمعات في ضوء القرآن الكريم، إعداد ايمن بن بنيه بن غنام المغربي، إشراف: محمد بن عمر بازمول، ٥٤.

[٣] المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار، أبو الفضل العراقي (ت: ٨٠٦هـ)، ٥٠٣. وينظر: جامع الأحاديث ، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه مجموعة من الباحثين بإشراف علي جمعة (مفتي الديار المصرية)، ٢٣٧/٨.

[٤] ينظر: حركة التاريخ في القرآن الكريم، عامر الكفيشي، ٢٩٠.

وقوى تستوجب هذه المسببات " [1]، فقال النبي محمد (ﷺ) : " **لن يدخل أحدكم الجنة بعمله قالوا: ولا أنت يارسول الله: قال: ولا أنا، إلى أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**"[2].

" **فأودع الله تعالى في الأسباب معانٍ كبيرة تستوجب هذه المسببات وساء كانت الأسباب مادية كالإحراق مثلاً ناتج عن النار فالنار سبب والإحراق مسبب عنها، وكذلك جعل الله الأشياء المعنوية أسباباً لنتائج معينة هي مسببات عنها وجعل الاستغفار سبباً لمغفرة الله ورحمته وجعل الظلم سبب لهلاك الأمم**" [3].

وسأذكر أمثلة عن الأسباب المادية على سبيل المثال لا الحصر :

١- قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [4]، فالضمير (هو) فالرياح يتدبرها الله ثم يرسلها بقدرته ﴿**بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ**﴾ فنعم الله تعالى على الإنسان كثيرة لا تعد ولا تحصى فأنعم علينا بالشمس والقمر والليل والنهار وبالماء الذي يسقي الأرض فتنبت نباتاً طيباً والله بقدرته يوزعه على الأرض حسب حاجة كل بلد إليه وتوزيعه يناسب

---

[1] السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، ٢٠.

[2] تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، العرتقي (٧٢٥-٨٠٦هـ)، وابن السبكي (٧٢٧-٧٧١هـ)، الزبيدي (ت: ١١٤٥- ١٢٠٥هـ)، استخراج أبي عبدالله محمود بن محمد الحداد (١٣٧٤هـ)، ط١، دار العاصمة للنشر، الرياض، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م، ٢١٥٩/٥. وينظر: جمع الجوامع المعروف بـ(الجامع الكبير)، جلال الدين السيوطي (٨٤٠-٩١١هـ)، تحقيق: مختار إبراهيم الهائج، عبد الحميد محمد ندا، حسن عيسى عبد الظاهر، ط٢، الناشر دار الأزهر الشريف القاهرة- مصر، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، ١٦/٧، وينظر: شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح اللدنية، أبو عبدالله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (ت: ١١٢٢هـ)، ط١، دار الكتب العلمية للنشر، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، ١٢ ،٣٩٧.

[3] ينظر: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، ٢٧.

[4] سورة الاعراف، الآية ٥٧.

كل بلد واحتياجاته [١]، قوله تعالى: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ [٢]، والمتأمل قليلاً في آيات الله يجد تدبير الباري عز وجل في هذا الكون إذ الرياح تهب وتبخر مياه البحر وهذا التبخر ترفعه الرياح إلى السماء ثم تجذبه إلى الأرض فيتساقط على شكل قطرات مطر هو من المعقول أن يكون صدفة ؟ من قام بكل هذه العمليات على مدى الحياة ؟ فالجواب الحقيقي عن هذه الأسئلة هي وجود الخالق المدبر لنظام القانون وفق نظام إلهي وإليه تعالى ينتهي كل شيء ولا يفتقر إلى شيء في الرياح والمطر وحياة المخلوقات جميعها تنسب إلى خالق الطبيعة قوله تعالى:﴿ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [٣]، فالآية المباركة تعد رداً على من ينكر الحياة بعد الموت فالله تعالى أحيى الأرض بعد موتها، وكلاهما معنىً واحد لأن الله تعالى مدبر أمور الناس والكون جميعاً، ففي قوله تعالى ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [٤]، فمعنى الآية المباركة كناية عن اعطاء القليل بعسر وصعوبة وقال آخرون هي تمثيل لقلب المؤمن والكافر الذي جعل منها أوجه الشبه أن الأرض كلها واحدة من حيث الجنس لكنها إذا اهتزت وربت أنبتت أنواع مختلفة من النباتات ومنها أراضي قاسية لا صلاح فيها ولا خير فقوله تعالى:﴿ كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ فإن الله تعالى ضرب هذه الأمثال وغيرها ليسمع منها المؤمن الطيب فينتفع بها ويسمعها الكافر عسى أن يتعظ بها وبنفس الوقت رد على

---

[١] ينظر: زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن احمد المعروف أبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، ٦/٢٨٧١.

[٢] سورة الاعراف، الآية ٥٤.

[٣] سورة الاعراف، الآية ٥٧.

[٤] سورة الاعراف، الآية ٥٨.

تحلفهم واتهاماتهم[١] في الآية المباركة بيان ربوبيه الله تعالى فإحياء الأرض وإحياء الموتى نوع واحد والله تعالى بيده كل شيء [٢].

٢-قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [٣].

" **فـ(فضرب فانفجرت) إن الله تعالى قادر على تفجير الماء وفلق الحجر من غير ضرب لكن الله أراد أن يربط المسببات بالأسباب حكمة منه لعباده في وصولهم إلى المراد، وليرتب على ذلك ثوابهم وعقابهم في المعاد**" [٤].

ما ذكرته أعلاه بخصوص الأسباب المادية أما الأسباب المعنوية سأذكر مثالين عليهما.

و**الأسباب المعنوية** : مثل الإيمان والتقوى والعمل الصالح سبباً لرضا الله وكسب السعادة في الدنيا والآخرة وكذلك الاستغفار يعد سبباً لغفران الذنوب وغيرها[٥].

١- قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [٦]، فيوم الفرقان في الآية المباركة هو اليوم الذي يفرق به بين الحق والباطل ونصرت أهل الحق وإذلال أهل الباطل[٧].

---

[١] ينظر: التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠هـ)، ٣٤١/٣.

[٢] الميزان، الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ)، ١٥٩/٨.

[٣] سورة البقرة، الآية ٦٠.

[٤] السنن الإلهية في تفسير المجتمعات في ضوء القرآن الكريم، إعداد أيمن بن نبيه بن غنام المغربي، اشراق محمد بن عمر بازمول،٥٩.

[٥] ينظر: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، ٢٧.

[٦] سورة الانفال، الآية ٢٩.

[٧] ينظر: جوامع الجامع، الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ)، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي – قم، ٢٠/٢.

٢- قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ * إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [١]، فهذه الآية رعاية لصورة الأسباب والمسببات فمن الممكن أن يضرب الملائكة الكفار مباشرة لكن الله تعالى أجراها على يد نبيه محمد (ﷺ) وكان الملائكة عوناً له [٢].

[١] سورة الانفال، الآية ٩-١٢.

[٢] ينظر: السنن الإلهية في تفسير المجتمعات في ضوء القرآن الكريم، إعداد: أيمن بن نبيه بن غنام المغربي، إشراق محمد بن عمر بازمول، ٦٠.

الفصل الثالث

نماذج مختارة من خرق الأسباب والمسببات للأنبياء والرسل (عليهم السلام)

توطئة

المبحث الأول: خرق الاسباب والمسببات في قصة نوح (عليه السلام) والطوفان

المبحث الثاني: خرق السباب والمسببات في قصة موسى (عليه السلام) والعبد الصالح

المبحث الثالث: خرق السباب والمسببات في قصة ذي القرنيبن

المبحث الرابع: خرق الأسباب والمسببات في قصة عيسى (عليه السلام)

المبحث الأول

خرق الأسباب في قصة نوح (عليه السلام) والطوفان

توطئة:

إن القرآن الكريم يخبرنا عن جملة من الحوادث التي لا تخضع لقانون العادة وهو قانون العلة والمعلول الموجود في الطبيعة، وإن تلك الحوادث الخارقة للعادة هي الحوادث التي تتعلق بمعجزات الأنبياء كمعجزات نوع وموسى وداود ومحمد وعيسى (عليهم السلام) [1].

إن قانون الأسباب والمسببات قانون عام وشامل يشمل جميع ما في السموات والأرض من موجودات وكائنات على إختلاف أنواعها وأشكالها، ومن باب أن لكل قاعدة استثناء نستطيع أن نوضح هل خرق هذا القانون مع الأنبياء والأولياء أم هو ثابت مع الجميع منذ بدء الخليقة إلى يوم القيامة وهذا ما سأوضحه في هذا الفصل.

ذكر النبي نوح (عليه السلام) في التوراة والقرآن الكريم، ذكر في القرآن الكريم ثلاثة وأربعين مورداً وفي سور عديدة شيء من هذا التفصيل (الأعراف- هود- المؤمنون- الشعراء- الصافات- القمر- نوح)، لكن الاختلاف في التفصيل من حيث السعة والتحول، وهو ثالث الأنبياء بعد آدم وجده إدريس (عليه السلام)، وهو أول رسل أولي العزم وهم نوح، وإبراهيم، موسى، عيسى، محمد (صلى الله عليه وسلم) [2].

---

[1] ينظر: الإعجاز والتحدي في القرآن الكريم، محمد حسين الطباطبائي، تحقيق قاسم الهاشمي، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ٣٠.

[2] ينظر: القصص القرآني، محمد باقر الحكيم، ط٣، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، مطبعة العترة الطاهرة، ٢٠٠٨م، ١٥٧.

يتلخص خرق الأسباب في قصة نوح في القرآن الكريم بثلاث مراحل واضحة.

المرحلة الأولى: الرسالة والدعوة: كان النبي نوح (عليه السلام) يدعو قومه إلى توحيد الله وعبادته وترك عبادة الأصنام وواجهه قومه كباقي الأنبياء بكل أنواع التكذيب والقسوة والإفتراء والاتهامات منها الجنون وغيرها واستعملوا كل وسائل القوة ضده قوله تعالى: **﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ * قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ * فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾** [1]، قوله تعالى: **﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾** [2]، ولا أطيل الحديث عن المرحلة الأولى لأن ما يهمنا ومحور كلامنا هو المرحلتين الثانية والثالثة.

المرحلة الثانية: اليأس وصنع السفينة.

المرحلة الثالثة: الطوفان وآثاره ونتائجه[3].

يتبين مما سبق أن المرحلة الأولى كانت شاقة على النبي نوح (عليه السلام)لأن قومه لم يتقبلوا دعوته وهو ما حصل تماماً مع جميع الأنبياء(عليهم السلام) وظلوا متمسكين بعباداتهم وعاداتهم المزيفة وقابلوا دعوة النبي بأشد أنواع القسوة والقوة والإفتراء وما شابه وما يهمنا في هذا المبحث ومحور كلامنا هي المرحلة الثانية بعد يأسه من إصلاحهم وتوعيتهم والمرحلة الثالثة المتمثلة بالطوفان وآثاره ونتائجه.

قوله تعالى: **﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آَمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾** [4].

---

[1] سورة الشعراء، الآيات ١١٦-١١٨.

[2] سورة القمر، الآية١٢.

[3] ينظر: القصص القرآني، محمد باقر الحكيم، ١٦١- ١٦٧.

[4] سورة هود، الآية ٣٦.

بذل نوح (عليه السلام) قصارى جهده في هداية قومه لكن من دون جدوى إلى درجة يئس من هدايتهم[1]، قابله قومه بكل أنواع الإساءة من إتهامات وإفتراءات واتهموه بالكذب وغيرها من الإتهامات [2].

وقال الملا فتح الله الكاشاني (ت:٩٨٨هـ)، بخصوص قوله تعالى: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أي: " **لا تحزن حزن بائس مستكين بما فعلوه من تكذيبك وايذائك ومعاداتك قد حان لك الإنتقام منهم فأقنطه الله من إيمانهم وأعلمه أن إيمانهم كالمحال**" [3]، فكانت الآية الكريمة بمثابة إطمئنان إلهي انه عليم بما يدور معه وإن إيمانهم شيء مستحيل.

فبعد يئسه منهم دعا عليهم وجاء دعاؤه في قوله تعالى:﴿ **وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا**﴾[4]، قال الشيخ محمد رضا القمي المشهدي (ت١١٢٥هـ) :" ... قلت لأبي جعفر (عليه السلام) أرأيت نوحا حين دعا على قومه، قال (عليه السلام): علم أنه لم ينجي من بينهم أحداً، قال: قلت: وكيف علم ذلك، قال: أوحى الله اليه: " **أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن وعند ذلك دعا عليهم بهذا الدعاء**" [5]، فتبين من ذلك أن نوحاً (عليه السلام) دعا على قومه بعدما أوحى الله إليه بعدم إيمانهم.

---

[1] ينظر: القصص القرآني، جعفر السبحاني، ط١، مؤسسة الامام الصادق(عليه السلام)، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م، ١١٤-١١٥.

[2] ينظر: جواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي)، الثعالبي (ت:٨٧٥هـ)، ٢٨٣/٣.

[3] زبدة التفاسير، الملا فتح الله الكاشاني (ت:١٤٢٣هـ)، ٣:٢٧٣- ٢٧٤.

[4] سورة نوح، الآية ٢٦-٢٧.

[5] كنز الدقائق وبحر الغرائب، محمد بن محمد رضا القمي المشهدي (ت: ١١٢٥هـ)، ط١، مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران- ايران، ١٥٣/٦.

قوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾[1]، يحتمل لفظة (بأعيننا) أي: **بملائكتنا الذي جعلناهم عيوناً على مواضع حفظك ومعونتك**" [2].

جاءت لفظة (أعيننا) فـ (أعين) جمع كلمة (عين) والمراد بها للتعظيم والتكثير وتعني رعاية الله وحفظه لأن الله تعالى منزه عن الحواس والتشبيه والتكييف، وقيل بمعنى: جعلنا لك ملائكة تساعدك وتحفظك، و(وحينا) تعني يعلمه الوحي[3].

قال الكاشاني (ت: ٩٨٨هـ): " **وأصنع الفلك بأعيننا ملتمساً برأى منا، أي بحفظنا إياك من ان تزيغ في صنعتك عن الصواب أو يحول بينك وبين عملك أحد من أعداءك... وذكر الأعين لتأكيد الحفظ فعبّر بذكر آله الحس الذي يحفظ الشيء ويراعي عن الإختلال والزيغ ويعني المبالغة في الحفظ والرعاية على طريق التمثيل**"[4].

فالآية المباركة تبين العناية الإلهية للنبي نوح (عليه السلام) في هذه الفترة وعبّر الله تعالى بلفظة (الأعين) وهي من أهم الحواس في جسم الإنسان وهي إطمئنان له في عمله بعد هذا التصريح الالهي.

---

[1] سورة هود، الآية ٣٧.

[2] تفسير البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي (ت:٧٤٥هـ)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض وشارك التحقيق زكريا عبد المجيد النوقي، احمد النجولي، ط١، دار الكتب العلمية للنشر، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١، ٢١٩/٥.

[3] ينظر: جواهر الحسان في تفسير القرآن ، (تفسير الثعالبي)، الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ)، ٢٨٣/٣.

[4] زبدة التفاسير، الكاشاني (ت: ٩٨٨هـ)، ٢٧٤/٣؛ وينظر: كنز الدقائق وبحر الغرائب، القمي (ت:١١٢٥هـ)، ١٥٣/٦.

أوحى الله تعالى لنوح (عليه السلام) أن يضع سفينته من جؤجؤ الطائر *[1]، إن النبي نوح (عليه السلام) كما تذكر كتب التفسير كان نجاراً فبعد إن جاءه الأمر الإلهي بصناعة السفينة لم يكن الأمر صعباً لأن الله تعالى تكفل ذلك، فكل خطوة من خطوات صناعتها من خطة العمل وبدء التنفيذ إلى النهاية هي أمور كفلها الله تعالى وتمت صناعة السفينة ضمن الامكانات المتوفرة في زمانه[2].

فنلاحظ في كثير من كتب التفسير إن الله تعالى تكفل رعاية نوح ومساندته في صناعة السفينة ووعده بنجاته ومن معه من المؤمنين.

قوله تعالى: **﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾** [3]، معناها لا تراجعني ولا تسألني عنهم فمصيرهم الغرق [4]، وقيل:" **لا تطلب إمهالهم فمصيرهم الغرق**"[5]، فتبين الآية المباركة النتيجة الحتمية لكل من ظلم نوح وآذاه وأن مصيره الغرق لا محال.

---

* جؤجؤ الطائر والسفينة صدرها، جمع الجأجئ، قال الأموي جأجات بالإبل اذا دعوتها للشرب، قلت: جئ جئ والاسم الجيء، ينظر: منتخب من صحاح الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت:٣٩٣هـ)، ٦٤٠.

[1] تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبدالله بن احمد بن محمود بن حافظ الدين النسفي (ت:٧١٥هـ)، تحقيق: يوسف علي بدوي، راجعه: محي الدين ديب مستو، ط١، دار الكلم الطيب للنشر، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، ٤٦٥/٢. وينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، شرف الدين الحسين بن عبدالله الطيبي (ت: ٧٤٣هـ)، مقدمة التحقيق اياد محمد الفوج، القسم الدراسي، جميل بن عطا، ط١، جائزة دبي الدولية للقرآن، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣هـ، ٦٩/٨.

[2] ينظر: نوح والطوفان العظيم، علي محمد محمد الصلابي، دار ابن كثير للنشر، ٢٨٢-٢٨٣.

[3] سورة هود، الآية٣٧.

[4] ينظر: زبدة التفسير، الكاشاني (ت:٩٨٨هـ)، ٢٧٤/٣.

[5] المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة ، عبد الكريم زيدان، ط١، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، ١٤٧/١.

قوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ﴾ [1]، جماعة من قومه سخروا منه لأنه يقوم بصناعة السفينة في البرية [2]، بعيدة عن الماء جداً وهذا غير معتاد في صناعة السفن [3].

وحقيقة يتبين مما سبق أن سبب سخرية قوم نوح من النبي نوح (عليه السلام) عند صناعته السفينة؛ لأنه قام بصناعتها على غير ما هو معروف لديهم لأن صناعة السفن تكون على الشواطئ والنبي نوح (عليه السلام) قام بصناعتها بعيد عن الماء فأثار حوله السخرية والإستهزاء.

قوله تعالى: ﴿...إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾، " **ان تسخروا منا فإنا نسخر منكم في المستقبل عندما يأخذكم الغرق في الدنيا والغرق في الآخرة**"[4].

إن ما تفعلوه بنا من الإستهزاء والسخرية سيعود عليكم يوماً ما وستعرفون نتيجة أفعالكم هذه في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى:﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [5]، قال الكاشاني (ت: ٩٨٨هـ): **عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: لما أراد الله هلاك قوم نوح عقّم أرحام النساء أربعين سنة، فلم يولد لهم مولود، فلما فرغ نوح من اتخاذ**

---

[1] سورة هود، الآية ٣٨.

[2] ينظر: جواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي)، الثعالبي (ت:٨٧٥هـ)، ٢٨٣/٣.

[3] ينظر: زبدة التفاسير، الكاشاني (ت: ٩٨٨هـ)، ٢٧٤/٣.

[4] زبدة التفاسير، الكاشاني (ت:٩٨٨هـ)، ٢٧٤/٣.

[5] سورة هود، الآية ٣٩.

السفينة أمره الله تعالى أن ينادي بالسريانية أن يجمع إليه جميع الحيوانات، فلم يبقَ حيوان الا وقد حضر وأدخل من كل جنس من أجناس الحيوان زوجين..." [١].

فتلقى قوم نوح جزءاً من عقوبتهم وهو عقم أرحام نساءهم بالمدة المذكورة في التفاسير لكي ينتهي نسلهم وبدأ نوح (عليه السلام) بتنفيذ أمر الله بأن يحضر جميع الحيوانات ويركب من كل جنس اثنين.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [٢]، قيل: إن التنور كان في أحد البيوت قرب مسجد الكوفة والمقصود به تنور الخبز الذي كان في بيت امرأة عجوز وأراد الله سبحانه وتعالى بهذا التنور أن يكون علامة لبداية الطوفان ثم أرسل الله عليهم رياحاً شديدة وفاض نهر الفرات وكل العيون فكان فيضاناً مرعباً لشدته[٣].

فبعد ظهور العلامة (فار التنور) جاء الأمر الالهي بكل زوجين من الحيوانات المختلفة وهيأ لهم ما يحتاجونه من الغذاء [٤]، فكانت العلامة البارزة على بدء المرحلة الثالثة المتمثلة بالفيضان وآثاره ونتائجه هي فوران التنور وتبين من التفاسير انه تنور خبز كان في بيت امرأة عجوز، قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ * وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ [٥].

---

[١] زبدة التفاسير، الكاشاني (ت:٩٨٨هـ)، ٢٧٥/٤ وينظر: كنز الدقائق وبحر الغرائب، القمي المشهدي (ت: ١١٢٥هـ)، ١٦٢/٦- ١٦٣، وينظر: قصص الأنبياء، المجلسي، تحقيق محسن عقيل، ط١، دار المحجة البيضاء، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، ١٤٢.

[٢] سورة هود، الآية ٤٠.

[٣] ينظر: زبدة التفاسير، الكاشاني (ت:٩٨٨هـ)، ٢٧٦/٤- ٢٧٧.

[٤] ينظر: قصص الأنبياء، المجلسي ، ١٤٢.

[٥] سورة القمر، الآيات ٩-١٥.

ففي الآيات المباركة أعلاه تصوير لحالة الفيضان ففي قوله تعالى: ﴿ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ [1]، فالآية المباركة هي بمثابة إطمئنان إلهي يبلغ نوح من آمن به [2]، فلفظة (أركبوا فيها) تختلف كثيراً من حيث المعنى عن لفظة (اركبوا عليها)، والركوب يكون على السفينة لكن الله تعالى أراد أن يبين أن السفينة لم تصنع بطريقة بدائية على شكل ألواح وإنما صنعت بأحدث طريقة لصناعة السفن آنذاك، وكان التعبير بلفظ (اركبوا فيها) وليس(اركبوا عليها) أيضاً لأنها تكونت من طبقات وأدوار وحمل عليها نوح (عليه السلام) مختلف أنواع الحيوانات [3].

ثم حذر نوح (عليه السلام) ابنه وقال لولده :﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾[4]، رفض ابن نوح نداء والده المشفق عليه .. لأنه وضع الحلول في نفسه ولم يتوقع ان ماء الفيضان سيصل إلى أعلى سفح الجبل [5].

تفاجأ نوح من رد ابنه ولم يكن يعلم بكفر ابنه وكان يظن أنه مؤمناً ﴿وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [6]، ورغم غرق ابنه لم يتخل نوح (عليه السلام) عن إيمانه بالله تعالى والمعنى لا تتبع الكافرين فتغرق معهم ونجد نوح (عليه السلام) سأل ابنه ولم يسأل عن زوجته وهي من أهله لأنه (عليه السلام) على علم بكفرها ولم يعلم بكفر ابنه [7].

---

(1) سورة هود، الآية٤١.

(2) ينظر: قصص الانبياء ، المجلسي، ١٤٢.

(3) ينظر: نوح والطوفان العظيم، علي محمد محمد الصلابي، ٢٩٧.

(4) سورة هود، الآيات٤٢-٤٣.

(5) ينظر: القصص القرآنية، جعفر السبحاني، ١٢٣/١، وينظر: المستفاد من قصص القرآن الكريم للدعوة والدعاة، عبد الكريم زيدان، ١٤٨/١.

(6) ينظر: المستفاد من قصص القرآن الكريم للدعوة والدعاة، عبد الكريم زيدان، ١٤٨/١، وينظر: القصص القرآنية، محمد كريم الكواز، ١٤٦.

(7) ينظر: القصص القرآنية، جعفر السبحاني، ١٢٤- ١٢٥.

فبعد إن حذر نوح ابنه وبين له النتيجة الحتمية لكل كافر هو الغرق أجابه متوكلاً على ربه ومؤمن بعظمته وقدرته، قائلاً: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [1]، فظل ابن نوح مصراً على كفره وعناده وجهله ولم يسمع تنبيه وتحذر والده، وعندما رأى نوح(عليه السلام) أن الأمواج تتلاطم وسيغرق فلذة كبده فقال: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾[2]، وتحقق أمر الله العذاب بسبب عصيانه وعناده وجهله [3].

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [4]، فاكتشف الأمر لنوح (عليه السلام) والتجأ إلى ربِّه سبحانه وتعالى قائلاً: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [5] [6]، فبعد أن تأكد نوح من كفر ابنه سأل ربه أن شمله بعنايته ورحمته لئلا يكون من الخاسرين.

واستمر الطوفان سبعة أيام بلياليها [7]، فبعد هلاك قوم نوح بالغرق نتيجة الأمواج المتلاطمة من مياه الأمطار الغزيرة ومياه العيون المتدفقة من الأرض وبعد وصول الماء إلى أعلى القمم الجبلية أمر الله تعالى الارض بإبتلاع الماء [8].

---

[1] سورة هود، الآية ٤٣.

[2] سورة هود، الآية ٤٥.

[3] ينظر: القصص القرآنية، جعفر السبحاني، ١٢٣/١.

[4] سورة هود، الآية ٤٦.

[5] سورة هود، الآية ٤٧.

[6] القصص القرآني، محمد باقر الحكيم، ١٦٩.

[7] ينظر: زبدة التفاسير، الكاشاني (ت: ٩٨٨هـ)، ٢٧٦/٤- ٢٧٧.

[8] ينظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، عبد الكريم زيدان، ١٤٨/١.

فجاء الأمر الإلهي للأرض بإبتلاع الماء، والسماء يجب أن تكف ماءها في الآية المباركة قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [1]، " **إن هذه الجمل القرآنية العجيبة تصور لنا معنى الإرادة الإلهية وسلطانها الرهيب المنبسط على الكون كله بل القابض عليه كله، تتصرف بها كما تشاء وفي سماءه وأرضه وبحاره وجباله وفي كل شيء ليس في حسابها لأي معنى كبير أو صغير وبينت الآية رجوع كل شيء على ما كان عليه بعد ان التقت مياه السماء والارض على طوفان هائل مخيف** " [2].

فرغم حدوث الطوفان الهائل المرعب نجا الله نوح ومن أمن معه فهو دليل على قدرة الله تعالى وإرادته في إدارة الكون جميعاً وخرق الأسباب والمسببات في كل تفاصيل القصة.

فقوله تعالى﴿ ابْلَعِي مَاءَكِ ﴾ فجاء الأمر الإلهي للأرض أولاً بابتلاع الماء [3]، وجاء نداء الأرض قبل نداء السماء ونلاحظ القدرة الإلهية المتطلبة من الأرض أمرين وكان الأمر الأول توقف عيون الماء فيها والأمر الثاني هو أن تبتلع الأرض الماء المتواجد عليها، أما السماء فكان المطلوب منها التوقف عن الماء فقط [4].

---

[1] سورة هود، الآية ٤٤.

[2] نوح والطوفان العظيم، علي الصلابي، ٣١٤.

[3] ينظر: قصص الأنبياء، المجلسي، ١٤٣.

[4] ينظر: نوح والطوفان العظيم، علي الصلابي، ٣١٤- ٣١٥.

" **فبلعت الأرض ماءها فأراد ماء السماء أن يدخل في الأرض فامتنعت الأرض من قبولها وقالت: انما أمرني الله أن أبلع مائي فبقى الماء على وجه الأرض واستوت السفينة على جبل الجودي وهو جبل عظيم بالموصل**" [1]، وقيل: "**الجودي جبل بديار بكر من بلاد الجزيرة في جبال تتصل بجبال ارمينيا**"[2].

قوله تعالى:﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [3]، فبعد " **أن أمر الله تعالى جبرائيل بسوق الماء إلى البحار**" [4]، نزلت الآية المباركة أعلاه، فالمراد بـ(أُمم من معك) هم الأمم الصالحون الذين اتبعوا نوح ونجو معه [5].

وأي كان مكان جبل الجودي فيبقى العلم عند الله وحده، وتفيد من ذلك العبرة والعظة إذ صور الله لنا المشهد أفضل تصوير فعندما نقرأ الآيات المباركة بتمعن وتفكر نحس وكأن المشهد أمامنا وهذا من لطف الله تعالى بنا يكون القرآن الكريم سهلاً يسيراً لجميع الافهام.

نلاحظ أيضاً مما سبق أن قصة نوح والطوفان فيها خرق للأسباب نستطيع القول في جميع جزئياتها، إذ خرق الأسباب من تنور امرأة عجوز في مسجد الكوفة ، إذ هو تنور للخبر وإذا بلحظة يفور منه الماء وكانت أبرز علامة للأمر الإلهي بالطوفان المخيف الهائل، وإن مجريات القصة جميعها فيها خرق للأسباب فهطول الأمطار الغزيرة وإنفجار الأرض بعيون الماء وكان الفيضان مرعباً ومخيفاً يصل إلى

---

[1] قصص الانبياء، المجلسي، ١٤٣.

[2] القصص القرآنية، جعفر السبحاني، ١١٨/١.

[3] سورة هود، الآية ٤٨.

[4] قصص الأنبياء، المجلسي، تحقيق: محسن عقيل، ١٤٣.

[5] ينظر: القصص القرآنية، جعفر السبحاني، ١١٩/١.

أعلى القمم الجبلية رغم ذلك لم تتأثر سفينة نوح بذلك التي صنعها بنفسه ودام الطوفان سبعة أيام بلياليها وهذا دليل على قدرة الله تعالى وإرادته في هذا الكون فهلك من كذب نوح بالغرق ونجا نوح ومن آمن معه.

المبحث الثاني

خرق الأسباب والمسببات في قصة موسى والعبد الصالح(عليهما السلام)

في هذا المبحث سأتكلم عن قصة لم ترد إلاّ في سورة واحدة وهي سورة الكهف، فيها كثير من العظات والعبر وجاء في ذكرها في القرآن الكريم بعد قصة أصحاب الكهف مباشرة وفيها أحداث وشخصيات وتدور القصة حول ثلاث محاور:

المحور الأول: خرق السفينة

المحور الثاني: قتل الغلام

المحور الثالث: إقامة الجدار

وسأوضح هذه المحاور وأذكر كيف خرق الله الأسباب في هذه القصة.

تتحدث القصة " **عن رحلة قام بها موسى (عليه السلام) بأمر من الله تعالى للقاء عبد من عباده الصالحين المجهولين الذين أختصهم الله بعنايته ووهبهم من لدنه علماً بالغيب... والقصة حاملة بالغرائب والأسرار، وانسجاماً مع ذلك خلت عن ذكر زمان ومكان وقوعها (بإستثناء مجمع البحرين) كما لم تكشف عن اسم الفتى الذي رافق الكليم في رحلته، ولا حتى عن اسم ذلك العبد الصالح العالم الذي قصده موسى (عليه السلام) للتعلم منه** "[1]، وذكر ابن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ) أحاديث كثيرة تتعلق بالخضر وسأذكر واحدة منها: " **حدثنا عمر بن محمد حدثنا يعقوب بن ابراهيم... عن ابن عباس أنه تمارى هو والحرّ بن قيس الفراري في صاحب موسى قال: ابن عباس هو خضر فمرّ بها أُبي بن كعب، فدعا ابن عباس فقال: اني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل السبيل إلى لقبه، هل**

[1] القصص القرآنية، جعفر السبحاني، ١٨٥/٢.

سمعت رسول الله يذكر شأنه ؟ قال: نعم سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: بينما موسى في ملأ من بني اسرائيل جاءه رجلٌ فقال: هل تعلم أحدٌ أعلم منك قال: لا فأوحى الله إلى موسى بلى عبدنا خضر، فسأل موسى السبيل إليه، فجعل له الحوت آية، وقيل له: اذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه فكان يتبع الحوت في البحر، فقال لموسى فتاه: أرأيت إذا أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان أن أذكره، فقال موسى: ذلك ما كنا نبغي، فارتدا على آثارهما قصصا، فوجد خضراً، فكان من شأنهما الذي قصَّ الله في كتابه " [1]، فتبين مما سبق أن هذا الحوار هو سبب لحدوث قصة موسى والعبد الصالح.

قبل الخوض في تفاصيل القصة سأذكر الأقوال التي ذكرت حول الخضر (عليه السلام)، قيل: إن اسم الخضر هو باليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح (عليه السلام).

وقيل: اسمه باليا بن ملكان بن فالغ بت عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح (عليه السلام)، وقيل اسمه: إيليا ملكان بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح (عليه السلام)، وقيل: إلياس وقيل اليسع [2].

ونلاحظ الإختلاف في الإسم فقط ولكنها متفقة في النسب[3]، ويقول السيد هاشم فياض الحسيني: " **لعل إختلافهم في الأسم ناشئ من التصحيف أو من سهو**

---

[1] فتح الباريئ بشرح الإمام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ)، رتب أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، ٤٣١/٦. وينظر: جواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي)، الثعالبي، تحقيق: عبد الفتاح أبو سنة، علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ٥٣٣/٣-٥٣٤، وينظر: الزهر النضر في حلال الخضر، أبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني (٧٧٣- ٨٥٢هـ)، تحقيق صلاح الدين مقبول احمد، ط٢، مكتبة اهل الاثر للنشر، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، ١٠-١١.

[2] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٢٨٨/٣.

[3] ينظر: حياة الخضر، هاشم فياض الحسيني، ط١، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، ٩.

النساخ "[1]، وقيل هو ابن قابيل بن آدم وقيل هو المعمر بن مالك بن عبدالله بن نصر الآزر، وقيل إنه من ولد بعض من كان آمن بإبراهيم وهاجر معه في أرض بابل[2].

اختلف أهل العلم في سبب تسمية الخضر (عليه السلام) قيل: " **إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تصبح من خلفه خضراء**" [3].

وقيل: إنما سمي خضراً لحسنه ولإشراقة وجهه ولم يذكر لفظ الخضر بالقرآن الكريم إطلاقاً إنما تحدث القرآن عن عبد من عباد الله تعالى الذي جاء ذكره مع موسى (عليه السلام) قوله تعالى: ﴿**فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آَتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا**﴾ [4]، فلم تبين الآية المباركة اسم العبد الصالح ونسبه [5].

تبين مما سبق إن اسم الخضر (عليه السلام) لم يذكر صريحاً في القرآن الكريم ومما ورد بشأن اسمه من التفاسير وكذلك سبب تسميته.

قوله تعالى:﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا**﴾[6] فقوله (إذ قال موسى) جملة معطوفة على قصة متقدمة والمعنى اذكر يا محمد (صلى الله عليه وسلم) والفتى هو يوشع بن نون هو ابن اخت موسى وتلميذه المختص[7].

---

[1] ينظر: حياة الخضر، هاشم فياض الحسيني، ٩.

[2] ينظر: كشف الإلباس عما صح وما لم يصح عن قصة الخضر أبي العباس، ابراهيم بن فتحي بن عبد المقتدر ، تقريظ أبو بكر جابر الجزائري، محمد صفوت نور الدين، ط٢، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠م، ١٢- ١٣.

[3] الزهر النضر في حال الخضر، العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ)، ١٣.

[4] سورة الكهف، الآية ٦٥.

[5] ينظر: الخضر من خلال كتاب الكاشف عن حقائق السنن للإمام الطيبي، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد ٤٧، ٢٧ ذي الحجة ١٤٣٧هـ- ٢٩ ايلول ٢٠١٦، ١٤٧.

[6] سورة الكهف، الآية٦٠.

[7] ينظر: القصص القرآنية، جعفر السبحاني، ١٨٧/٢.

قال الطبرسي (ت:٥٤٨هـ): " **لا أبرح معناه لا أزال أمضي وأمشي، ولا أسلك طريقاً آخر حتى أبلغ ملتقى البحرين بحر فارس وبحر الروم، ومما يلي المغرب بحر الروم ومما يلي المشرق بحر فارس... أو (أمضي حقباً) أي دهراً عن ابن عباس، وقيل سبعين سنة عن مجاهد ، وقيل ثمانين سنة عن عبدالله بن عمر**"[١].

وقال البيضاوي (ت:٦٩١هـ): " **(مجمع البحرين) ملتقى بحرين فارس والروم مما يلي المشرق وعد لقاء الخضر فيه** " [٢]، ومنهم من قال إن البحرين هم موسى والخضر (عليهما السلام) بوصف أن موسى(عليه السلام) علم الظاهر والخضر علم الباطن وجاءت مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع [٣]، فتبين أن مجمع البحرين هو المكان الذي يلتقي فيه موسى (عليه السلام) بالعبد الصالح واختلفت التفاسير في المدة التي سارها موسى والفتى حتى وصل لمجمع البحرين ليلتقيا بالخضر(عليه السلام).

قوله تعالى:﴿ **فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا * فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا * قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا**﴾ [٤]، الفاء هنا في(فلما) للتفريغ ومعناه فسار حتى وصل مجمع البحرين وضمير التثنية في (بينهما) بقصد المحل الذي يجمع بين البحرين والحوت، ونقصد بالحوت الذي أُمر موسى بإستصحابه ليكون دليلاً على تواجد العبد الصالح هنا

---

[١] مجمع البيان، الطبرسي (ت:٥٤٨هـ)، ٣٦٤/٦.

[٢] أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (ت ٦٩١هـ)، ٢٨٧/٣.

[٣] ينظر: المصدر نفسه، ٢٨٧/٣.

[٤] سورة الكهف، الآيات٦١- ٦٤.

وظاهر الآية ان الحوت اتخذ له طريقاً في البحر وهو النفق[١]، فهنا حسب ما ذكر بالتفاسير أن الحوت شق طريقه في البحر.

" **فنجد عليه السلام حين سار ومعه فتاه ليلقي العبد الصالح الخضر (عليه السلام) عند مجمع البحرين يصحب معه زاده وغذاءه** " [٢]، ويقول لفتاه : ﴿**قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا**﴾ [٣]، فمعنى(النصب) التعب والشدة والله سبحانه وتعالى القى على موسى هذا التعب والجوع ليذكره بحديث الحوت [٤].

قوله تعالى:﴿ **قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ.....**﴾ [٥]، قال البيضاوي (ت:٦٩١هـ)، بخصوص الآية المباركة: **(نسيا حوتهما) نسى موسى (عليه السلام) ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ذكر له ما رأى من حياته ووقوعه في البحر، روى: ان موسى(عليه السلام) رقد فاضطرب الحوت المشوي ووثب في البحر معجزة لموسى أو الخضر** " [٦]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ**﴾ هو بمثابة إعتذار عن نسيانه وانشغاله بوسواس الشيطان وكانت في إجابة موسى (عليه السلام) تعجب من ما رأى من حركة الحوت وشق الطريق في البحر [٧].

وفي قوله تعالى: ﴿**قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا**﴾[٨]، تعني أن موسى (عليه السلام) ويوشع بن نون رجعوا في نفس الطريق الذي ساروا فيه متبعين الآثار

---

[١] ينظر: القصص القرآنية، جعفر السبحاني، ٢/١٨٧-١٨٨.

[٢] في الطريق إلى الله (٣ التوكل)، يوسف القرضاوي، ط١، دار الفرقان، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، ٤١.

[٣] سورة الكهف، الآية ٦٢.

[٤] ينظر: مجمع البيان، الطبرسي (ت:٥٤٨هـ)، ٦/٣٦٤.

[٥] سورة الكهف، الآية ٦٣.

[٦] أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي(ت:٦٩١هـ)، ٣/٢٨٧.

[٧] ينظر: المصدر نفسه، ٣/٢٨٨.

[٨] سورة الكهف، الآية ٦٤.

ليصلوا إلى الصخرة [١]، بعدما أخبر يوشع بن نون موسى(عليه السلام) بما حدث من أمر الحوت رجعا في نفس الطريق متتبعين الآثار للوصول إلى المكان الذي نسيا فيه الحوت.

قال الطبرسي (ت:٥٤٨هـ): فوجد رجلاً مسجى بثوب فسلم عليه موسى، فقال الخضر: وأنا بأرضك السلام ؟ قال: أنا موسى. قال: موسى بني اسرائيل ؟ قال: نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا. قال:﴿ **قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**﴾ [٢]، ياموسى اني على علم من علم الله لا تعلمه علمنيه وأنت على علم من علم الله علمك لا اعلمه أنا فقال له موسى: ﴿**قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا**﴾ [٣]، بعد ما وصل موسى(عليه السلام) وفتاه وجدا العبد الصالح وبدأ الإتفاق بينهما.

قوله تعالى:﴿ **قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا**﴾ [٤]، فهنا بدأ الاتفاق بين موسى(عليه السلام) والعبد الصالح، قال البيضاوي (ت:٦٩١هـ):" **فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء أنكرته مني ولم تعلم وجه صحته، ﴿حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أي حتى ابتدئك ببيانه** " [٥]، فشرط العبد الصالح على النبي موسى(عليه السلام) عدم الإعتراض على ما يراه.

قوله تعالى: ﴿**فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا**

---

[١] ينظر: مجمع البيان، الطبرسي (ت:٥٤٨هـ)، ٣٦٥/٦ . وينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (ت:٦٩١هـ)، ٢٨٨/٣.

[٢] سورة الكهف، الآية ٦٧.

[٣] مجمع البيان، الطبرسي (ت:٥٤٨هـ)، ٢٦٦/٦. وينظر: سيدنا الخضر (ع) سيد سلامة غنمي، ط١، دار الاحمدي للنشر، يناير ٢٠٠٠، ٥٧، وينظر: القصص القرآني، صالح الخالدي، ط١، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، ٢٩٩/٣.

[٤] سورة الكهف، الآية٧٠.

[٥] أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي(ت:٦٩١هـ)، ٢٨٩/٣.

﴿تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [1]، فهذه الآيات المباركة تبين ما حدث مع موسى والخضر عليهما السلام فأنهم يسيرون على شاطئ البحر ثم ركبا السفينة فوجد الخضر ان أصحاب السفينة على معرفة سابقة معه وبعد ذلك أخذ الخضر فأساً وثقب السفينة وقيل أنه قلع لوحين فأنكر موسى(عليه السلام) ذلك العمل وقال: أخرقتها لتغرق أهلها فنلاحظ أن موسى (عليه السلام) استنكر فعله الخضر (عليه السلام) بقوله (لتغرق أهلها) ولم يقل (لنغرق) لأنه تعاطف مع أهل السفينة أكثر من عطفه على نفسه لأن الخضر قابل إحسانهم إليه بالإساءة [2].

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ فهنا ذكّر العبد الصالح بالاتفاق الذي جرى بينهم فقال: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ..﴾ أي لا تؤاخذني بهذه الفعلة أو النسيان وهو بمثابة اعتذار فقال العبد الصالح ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ ومعناه لا تعاملني بقوة وإنكار ما أفعل وعاملني بيسر [3].

نلاحظ مما سبق إن النسيان وارد عند الأنبياء إلا أنه يكون لأمور طارئة لا تؤثر على عصمتهم.

قوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ [4]، وبخصوص الآية المباركة قال الطبرسي

---

[1] سورة الكهف، الآيات ٧١- ٧٣.

[2] ينظر: مجمع البيان، الطبرسي (ت:٥٤٨هـ)، ٣٧٥/٦ . وينظر: أنوار التنزيل واسرار التأويل، البيضاوي(ت:٦٩١هـ)، ٢٨٩/٣، وينظر: القصص القرآني ، صلاح الخالدي، ٢٩٩/٣، وينظر: سيدنا الخضر (عليه السلام) ، سيد سلامة غنمي، ٥٧، وينظر: وقفات تربوية مع سورة الكهف، جمع وإعداد نجلاء السبيل، برنامج التدبير، الملزمة السابعة، ٦٠.

[3] ينظر: مجمع البيان، الطبرسي (ت:٥٤٨هـ)، ٣٧٠/٦، وينظر: القصص القرآنية، جعفر السبحاني، ١٩٢/١- ١٩٣.

[4] سورة الكهف، الآيات ٧٤-٧٦.

(ت:٥٤٨هـ): " **معناه خرجا من البحر وانطلقا يمشيان في البر يعني موسى والخضر ولم يذكر يوشع لأنه كان تابعاً لموسى(عليه السلام) أو كان قد تأخر عنهما وهو الأطهر، لإختصاص موسى بالنبوة واجتماعه مع الخضر (عليه السلام) في البحر، فلقيا غلاماً يلعب مع الصبيان فذبحه في السكين، وكان من أحسن الغلمان وقيل صرعه نزعه رأسه من جسده وقيل ضربه برجله فقتله**" [١].

فاستنكر موسى ما فعله العبد الصالح مرة أخرى ولم يستطع الصبر على ما فعله لأنه مخالف للشرع والعقل [٢].

تميل الباحثة إلى امكان قتل الطفل برجله، لأنه ليس من الممكن أن تصل رسالة الله إلينا بقتل الطفل بهذه الطريقة البشعة وهي فصل الرأس عن الجسد.

وظهرت على موسى قلة الصبر لما يراه من الأفعال السيئة من دون مبرر واضح ولم يلتزم بالإتفاق واستنكر هذه الفعلة أيضاً[٣]، قال له موسى إن سألتك عن شيء بعدها وإن اعترضت بعد هذه المرة فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا مرة بعد مرة"[٤]، وقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "**رحم الله أخي موسى استحيا فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لأبصر أعجب الأعاجيب**"[٥]ـ فعند مرافقته للخضر(عليه السلام) رأى العجب.

---

[١] مجمع البيان، الطبرسي (ت:٥٤٨هـ)، ٣٧٠/٦.

[٢] ينظر: القصص القرآنية، جعفر السبحاني، ١٩٣/١.

[٣] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي(ت:٦٩١هـ)، ٢٩٠/٣.

[٤] سيدنا الخضر (عليه السلام)، سيد سلامة غنمي، ٥٨، وينظر: وقفات تربوية مع سورة الكهف، جمع واعداد نجلاء السبيل، ٦٠.

[٥] أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي(ت:٦٩١هـ)، ٢٩٠/٣.

وقد قال تعالى أيضاً: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [1]، **قيل انها قرية انطاكيا، وقيل انها قرية أبلة البصرة، وقيل: باجروان أرمينية**"[2].

عندما دخل العبد الصالح مع موسى(عليه السلام) كان بحاجة إلى الطعام فطلب من أهل القرية ولم يرحبوا بهم وهذا دليل على قسوة قلوبهم وبخلهم يغلقون أبوابهم بوجه الضيف الجائع، ثم سار في القرية نفسها وعندما وجد جداراً مائلاً شبه منهدم قام العبد الصالح ببناءه فتعجب موسى(عليه السلام) من أمر العبد الصالح كيف قام بمساعدتهم بعدما رفضوا ضيافته وإطعامه فطرح موسى(عليه السلام) فكرة أخذ الأجر منهم مقابل ذلك قوله تعالى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ فعرض موسى (عليه السلام) هذه الفكرة لكي يشتروا الطعام بهذا الاجر[3]، فتعجب موسى(عليه السلام) من فعل العبد الصالح وانه قابل الإساءة بالإحسان ويعد هذا النوع من الإحسان هو الأعلى في درجاته [4]، وصدق الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [5]، فكانت افعال الخضر تثير غضب واستغراب موسى(عليه السلام)، فقال الرجل الصالح ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ لا أصاحبك بعد ذلك لأنك خالفت الإتفاق ومع ذلك سأخبرك بالأفعال التي قمتُ بها وأنت استنكرتها علية [6].

ففي هذه اللحظة انكشف الغطاء وأخذ العبد الصالح بالإجابة على أسئلة موسى(عليه السلام) قوله تعالى: أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن

---

[1] سورة الكهف، الآية ٧٧.

[2] أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي(ت:٦٩١هـ)، ٣/٢٩٠.

[3] ينظر: القصص القرآنية، جعفر السبحاني، ١/١٩٣.

[4] وقفات تربوية مع سورة الكهف، جمع وإعداد نجلاء السبيل ،٦١.

[5] سورة فصلت، الآية ٣٥.

[6] ينظر: القصص القرآنية، جعفر السبحاني، ١/١٩٤.

أعيبها وكان وراءهم ملك ينتظرهم يأخذ جميع السفن الجيدة من أهلها وقدمت إرادة التعيب هنا التي للعناية [١]، هنا بين الخضر(عليه السلام) سبب خرابه للسفينة لأنهما كانت لمساكين وهناك ملك ظالم يريد أن يسيطر عليها قوله تعالى:﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [٢]، بخصوص هذه الآية المباركة قال البيضاوي (ت:٦٩١هـ): " **وأما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغياناً وكفر... فلا يمكن أن ينجمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر** " [٣].

فأراد الله سبحانه وتعالى أن يرزقهم بولد صالح أكثر ايماناً وقرباً إلى الله تعالى وأكثر نفعاً وصلاحاً لوالديه ويهتم بهم وبصلة رحمهم [٤].

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [٥].

إن الجدار المائل كان تحته مال مدفون فقام العبد الصالح ببناء الجدار حفاظاً على أموال اليتيمين حتى عندما يكبران يفيدا من الأموال التي دفنها والديهما وإنه لو سقط هذا الجدار وعلم به أهل القرية لسيطروا على الأموال وأخذوها ولم يبق من الأموال شيئاً للغلامين [٦]، فنجد أن إصلاح العبد الصالح للجدار كان لحكمة

---

[١] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي(ت:٦٩١هـ)، ٢٩١/٣، وينظر: وقفات تربوية مع سورة الكهف، جمع واعداد نجلاء السبيل ،٦١.

[٢] سورة الكهف، الآية ٨٠.

[٣] أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي(ت:٦٩١هـ)، ٢٩١/٣.

[٤] ينظر: القصص القرآنية، جعفر السبحاني، ١٩٦/١.

[٥] سورة الكهف، الآية ٨٢.

[٦] ينظر: القصص القرآنية، جعفر السبحاني، ١٩٧/١، وينظر: سيدنا الخضر (عليه السلام) ، سيد سلامة غنمي، ٥٨، وينظر: وقفات تربوية مع سورة الكهف، جمع وإعداد نجلاء السبيل ،٦٢.

بالغة وهي الحفاظ على أموال اليتامى لأنه لو سقط هذا الجدار وهم صغار لا يتمكنوا من الحفاظ على أموالهم.

فكم من أقدار تمر بنا في حياتنا اليومية ونتألم ونحزن بسببها ولكن لو كُشف لنا الغيب لسجدنا لله شكراً على اختيارات رب العالمين لنا وعلينا الرضا بقضاء الله وقدره، فالله تعالى حكيم يقدر للعبد كل ما فيه مصلحته ونحن لو نرضى بما كتب لنا لجبرنا وأرضانا [1] ، قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [2].

فنجد في القصة أن الله تعالى بث الروح في السمكة المشوية هو خرق للعادة وإنها عادت للحياة بإرادة الله تعالى، ونلاحظ أن العلم عند الأنبياء درجات، وأن العبد الصالح كان على علم لم يكن بعلمه النبي موسى (عليه السلام)، وأن العلم اللدني عند العبد الصالح هو خرق للعادة لأنه يعلم أمور مستقبلية لم يعلم بها أحد غيره.

---

[1] ينظر: وقفات تربوية مع سورة الكهف، جمع وإعداد نجلاء السبيل ،٦٢.

[2] سورة البقرة، الآية ٢١٦.

المبحث الثالث

خرق الأسباب والمسببات في قصة ذي القرنين

ذو القرنين رجل طوّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وهو شخصية عملاقة ذكرها التاريخ والحديث فيه يطول رغم ذكرها في القرآن مرة واحدة في سورة الكهف، فمنهم من قال هو حاكم ومنهم من قال هو نبي زمانه وسأذكر في هذا المبحث كيف خرق الله نظام الأسباب والمسببات القائم في هذه الحياة مع ذي القرنين.

" **ذو القرنين علم قرآني بارز، خلّد الله ذكره في كتابه الخالد أنه الرجل الطوّاف في الارض الصالح العادل الخاشع لربه والمنفذ لأمره والقائم بين الناس بالإصلاح فلم يبق حال ولا منصب ولا جاه ولا قوة ولا سلطان بل أنه بقي ذاكراً لفضل ربه ورحمته متأهباً لليوم الآخر ليلقي جزاءه العادل عن ربه**" [1].

قوله تعال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [2]، " **(يسألونك) يا محمد (عن ذي القرنين) أي عن خبره وقصته لا شخصه**"، [3]واختلف في أمره هل هو نبي مبعوث أم ملك عادل [4]، وبصورة عامة " **كان الاختلاف في نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه**"[5].

وروى عن علي بن أبي طالب(عليه السلام) : " **أنه كان عبداً صالحاً، أحب الله وأحبه الله، وناصح الله وناصحه، قد أمر الله قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه، ضربة بالسيف، فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع إليهم فدعا**

---

[1] سنة الله في الاخذ بالأسباب، علي الصلابي، ١٨.

[2] سورة الكهف، الآيات٨٣-٨٤.

[3] مجمع البيان، الطبرسي (ت:٥٤٨هـ)، ٣٨٠/٦.

[4] ينظر: المصدر نفسه، ٣٨٠/٦.

[5] كنز الدقائق وبحر الغرائب، القمي المشهدي (ت: ١١٢٥هـ)، ١٤٤/٨.

إلى الله، فضربوه على قرنه الآخر بالسيف " وكان ذلك هو أحد أسباب تسميته بذي القرنين [1]، وجاء مجموعة من اليهود إلى الرسول (ﷺ) يسألونه عن ذي القرنين وذكر الشيخ محمد بن محمد بن رضا القمي المشهدي (ت: ١١٢٥هـ) " **ان فئة من اليهود اتوه فقالوا لأبي الحسن جدي، استأذن لنا عمك نسأله، فقال: فدخل علي(عليه السلام) فأعلمه، فقال النبي محمد(ﷺ): " وما يريدون مني؟ فإني عبد من عبيد الله لا أعلم إلاّ ما علمني ربي. وقال أئذن لهم. فدخلوا فقال : أتسألوني عما جئتم له، أم أنبئكم ؟ قالوا: نبئنا . قال: جئتم تسألوني عن ذي القرنين قالوا: نعم. قال: كان غلاماً من أهل الروم ثم ملك وأتى مطلع الشمس ومغربها ثم بنى السد فيها، قالوا: نشهد ان هذا كذا وكذا... وفي رواية عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: ملك الارض كلها اربعة مؤمنان وكافران، فأما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين واما الكافران نمرود وبخت نصر**" [2].

اختلف المفسرون والمؤرخون كثيراً في اسم ذي القرنين وسأذكر أهم الأقوال وأرجحها:

القول الأول: " **إن ذا القرنين هو الاسكندر بن قبلقوس اليوناني**"[3].

---

[1] مجمع البيان، الطبرسي (ت:٥٤٨هـ)، ٣٨٠/٦، وينظر: كنز الدقائق وبحر الغرائب، القمي المشهدي (ت:١١٢٥هـ)، ١٤٨/٨، وينظر: معاني القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي (ت: ٣٣٨هـ)، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، ط١، دار ابن حزم، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، ٢٨٣/٤.

[2] كنز الدقائق وبحر الغرائب، القمي المشهدي (ت: ١١٢٥هـ)، ١٤٤/٨-١٤٥.

[3] التبصرة لابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، ط١، بيروت- لبنان، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، ١٦٨/١، وينظر: ذو القرنين وسد يأجوج ومأجوج، هاشم فياض الحسيني، ط١، مطبعة السرور، ١٤٢٥ق- ٢٠٠٤م، ٩.

إن ذا القرنين هو " **اسكندر الرومي وهو ملك فارس والروم** "[١]، والدليل ان القرآن ذكر ان الرجل المسمى بذي القرنين بلغ ملكه إلى أقصى المغرب[٢]، بدليل قوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا**﴾ [٣]، فنلاحظ ان ذا القرنين عندما بلغ أقصى الشمال وجد قوماً من الترك تحت سيطرة يأجوج ومأجوج [٤].

فتبين مما سبق أن القرآن الكريم لم يصرح باسم ذي القرنين صريحاً لأن المراد من القصة العبرة والعظة.

القول الثاني: "**اسمه مرزبان بن مرزويه بن يافث بن نوح** " [٥].

القول الثالث: "**هو من أحفاد كهلان سبأ بن يعرب بن قحطان** [٦]، **وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: سئل عن ذي القرنين قال: كان عبداً صالحاً واسمه عياش**"[٧].

وذكر الشيخ هاشم الفياض أقوال أخرى لم أذكرها لاجتناب الإطالة وتميل الباحثة إلى القول الأول وهو إسكندر الروم لأن القرآن الكريم ذكر أنه بلغ بملكه أقصى المغرب في قوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ...**﴾ وحقيقة ان ذا القرنين كائن من كان علينا أن نتأمل بجوهر القصة لأنه يعدّ رمزاً حضارياً شامخاً وقوياً وعادلاً[٨].

---

[١] أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي(ت:٦٩١هـ)، ٢٩٢/٣.
[٢] ينظر: مقتنيات الدرر، مير سيد علي الحائري الطهراني (ت: ١٤٣٠هـ)، ٣٢٥/٦.
[٣] سورة الكهف، الآية٩٠.
[٤] ينظر: مقتنيات الدرر، مير سيد علي الحائري الطهراني (ت: ١٤٣٠هـ)، ٣٢٥/٦.
[٥] ينظر: ذو القرنين وسد مأجوج ومأجوج، هاشم فياض الحسيني، ٩.
[٦] مقتنيات الدرر، الطهراني (ت: ١٤٣٠هـ)، ٣٢٦/٦.
[٧] ذو القرنين وسد يأجوج ومأجوج، الحسيني، ١١.
[٨] ينظر: البوصلة القرآنية، أحمد خيري العمري، ط٣، دمشق- دار الفكر، ٢٠٠٣، ١١٨.

كانت الإنطلاقة الأولى لمعرفة خبر ذي القرنين بسؤال اليهود عنه وأنه رجل طوّاف ويعرف بين الناس بـ(ذي القرنين) لأن السؤال عنه في القرآن بقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ ولم يقل يسألونك عن الرجل الطوّاف [1].

فقد وردت في كتب التفسير أقوال كثيرة لم نذكرها كلها لأنها لا تعتمد على يقين وعلينا أن نكون حذرين لما فيها من إسرائيليات وأساطير، وقد سجل السياق القرآني لذي القرنين ثلاث رحلات فكانت رحلته الأولى إلى المغرب ورحلته الثانية إلى المشرق والرحلة الثالثة إلى مكان بين السدين [2].

قوله تعالى: ﴿قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ معناها قل يا محمد سأقرأ عليكم منه خبراً [3]، فالخطاب هنا للسائلين وقيل لله تعالى قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ فالتمكين* هنا بسطنا له ما في الأرض ليدير مصالحها [4]، وروى عن علي(عليه السلام) أنه قال: " **سخر الله له السحاب فحمله عليها ومد له في الأسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء** " [5].

---

[1] ينظر: ذي القرنين ويأجوج ومأجوج، جمال الدين شرقاوي، ٣٧.

[2] ينظر: الإعجاز القصصي في القرآن، سعيد عطية علي مطاوع، ط١، ٢٠٠٦، ٤٨.

[3] مجمع البيان، الطبرسي (ت:٥٤٨هـ)، ٣٨١/٦.

* التمكين: ان أول تمكين في الارض جرى للنبي يوسف (عليه السلام) ولم يكن يوسف هنا ملكاً أو قائداً، وانما فتى مملوك يباع ويشترى وتمكين يوسف معناه استقراره في ارض مصر في بيت الاسرة الحاكمة. ينظر: ذو القرنين ويأجوج ومأجوج، جمال الدين شرقاوي، ٤٠.

[4] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي(ت:٦٩١هـ)، ٢٩٢/٣. وينظر: كنز الدقائق وبحر الغرائب، القمي المشهدي (ت: ١١٢٥هـ)، ١٤٦/٨.

[5] مجمع البيان، الطبرسي (ت:٥٤٨هـ)، ٣٨١/٦.

فأن التمكين هو:" **القدرة على التصرف في الأرض من حيث التدبير والرأي والأسباب وبسط له النور وكان الليل والنهار عنده سواء من حيث المسير في الأرض** "[١]، فالتمكين استطاع ذي القرنين أن يخرق الأسباب الطبيعية والمعتادة.

قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [٢]، "**فأعطيناه من كل شيء علماً يتسبب به إلى ارادته ويبلغ به حاجته** " [٣].

إن لفظة (سبب) تعني العلم مع اختلاف التفاصيل طولاً وقصراً[٤]، فجاءت قصة ذي القرنين بعدما سأل النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) عنه وذكر القرآن الكريم قصته وانه فرق جميع الظروف المألوفة والمعتادة بقدرة الله تعالى وارادته.

قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي " **سلك طريقاً واحداً يوصله إلى المغرب**" [٥] ، وقال الحائري الطهراني(ت: ١٤٣٠هـ): " **في قوله تعالى﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي كلما اراد حصوله اتبع سبباً من الأسباب التي أوتي في المسير من بلد إلى بلد ومن قوم إلى قوم حتى يفوز بمرامه ومقصده**" [٦].

فالسبب له معاني عديدة وفي الآية أعلاه يعني الطريق أو المسلك الذي اتبعه ذي القرنين خلال مسيرته، فنجد أن ذا القرنين وازن بين الأسباب التي أتاحها الله له

---

[١] مقتنيات الدرر ، مير سيد علي الحائري الطهراني (ت: ١٤٣٠هـ)، ٣٢٧/٦.

[٢] سورة الكهف، الآية ٨٤.

[٣] مجمع البيان، الطبرسي (ت:٥٤٨هـ)، ٣٨١/٦. وينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي(ت:٦٩١هـ)، ٢٩٢/٣. وينظر: مقتنيات الدرر ، مير سيد علي الحائري الطهراني (ت: ١٤٣٠هـ)، ٣٢٧/٦.

[٤] البوصلة القرآنية، احمد خير العمري، ١١٩.

[٥] مجمع البيان، الطبرسي (ت:٥٤٨هـ)، ٣٨١/٦. وينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي(ت:٦٩١هـ)، ٢٩٢/٣، وينظر: كنز الدقائق وبحر الغرائب، القمي المشهدي (ت: ١١٢٥هـ)، ١٤٦/٨.

[٦] مقتنيات الدرر ، مير سيد علي الحائري الطهراني (ت: ١٤٣٠هـ)، ٣٢٧/٦.

واتبعها فكان ذو القرنين يتصف بالإيمان والتقوى والعمل الصالح فاجتمعت له أسباب ظاهره وباطنه لينفع الناس [١].

قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [٢]، وتعني " **ذات حمأ من حمئت البئر إذا صارت ذات حمأة وقيل انها حامية أي حارة** " [٣].

فكان الإختلاف في (مغرب الشمس) فهو يختلف بإختلاف الأماكن فمنهم من يرى أن الشمس تغرب خلف جبل ومنهم من يرى أنها تغرب في الماء كما في المحيطات والظاهر أن ذا القرنين وصل إلى نقطة على شاطئ المحيط الاطلسي تسمى بحر الظلمات رأى الشمس تغرب فيها [٤].

وقيل إن القوم الذين وجدهم ذو القرنين في مغرب الشمس هم قوم كفّار ملابسهم من جلد الحيوانات وطعامهم من البحر [٥].

وقيل أن الشمس كانت تغرب في عين ذات طين أسود ذات طمأ وماء حار ووجد عند العين أو الشمس أناساً [٦]، قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [٧].

---

[١] ينظر: سنة الله في الأخذ بالأسباب، علي الصلابي، ١٨٠.

[٢] سورة الكهف، الآية ٨٦.

[٣] أنوار التنزيل واسرار التأويل، البيضاوي(ت:٦٩١هـ)، ٢٩٢/٣.

[٤] ينظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، عبد الكريم زيدان، ط١، مؤسسة الرسالة للنشر، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ٥١٤/١.

[٥] ينظر: مجمع البيان، الطبرسي (ت:٥٤٨هـ)، ٣٨١/٦- ٣٨٢، ومن يريد الاستزادة حول هذا الموضوع ينظر الجزء الثالث من البيضاوي صفحة ٢٩٢-٢٩٣ وتفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب للقمي (ت:١١٢٥هـ) الجزء الثامن ص١٤٩.

[٦] ينظر: مقتنيات الدرر، الحائري الطهراني (ت: ١٤٣٠هـ)، ٣٢٧/٦.

[٧] سورة الكهف، الآية ٨٦.

قال الطبرسي (ت:٥٤٨هـ): " **هذا دلالة على القوم كفار أما أن تعذب من أقام منهم على الشرك، وأما أن تأسرهم وتمسكهم بعد الأمر لتعلمهم الهدى وتستنقذهم من العمى**" [١]، وأيد ذلك الشيخ القمي المشهدي (ت:١١٢٥هـ) بقوله: "**القتل على كفرهم أو بالإرشاد وتعلم الشرائع**" [٢]، فإن الله منح ذو القرنين التمكين وخيره بالتصرف معهم إن شاء يقتلهم أو يأسرهم ويعلمهم [٣].

قوله تعالى: ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾ [٤]، ما المقصود بالعذاب النكر هو أن يكون العذاب الأخروي أشد من القتل في الدنيا [٥].

يتبين مما سبق أن جزاءهم كان متروك لذي القرنين وله الخيار في أن يعذبهم أو يأسرهم ويؤدبهم ويرشدهم، فيكون للكافر عذاب في الدنيا إذا أصر على الشرك فيكون جزاءه القتل ثم له عذاب في الآخرة لم يرَ مثله من قبل [٦].

وبذلك عرفنا أن للكافر المشرك بالله عذابين دنيوي يحصل عليه في الدنيا إذا استمر في ظلمه لنفسه وآخروي في الآخرة يأخذ جزاءه على عناده على ما فعله في الدنيا.

فالمنهج الرباني الذي سار عليه ذو القرنين يؤكد إيمانه وتقواه وذكاءه في التصرف مع الناس الذين رآهم في البلدان المختلفة فكانوا يتميزون بسمات مختلفة فلا يصح أن يعاملوا معاملة واحدة وأن تكون المعاملة كل حسب وضعه فمنهم

---

[١] مجمع البيان، الطبرسي (ت:٥٤٨هـ)، ٣٨٢/٦.

[٢] كنز الدقائق وبحر الغرائب، القمي المشهدي (ت: ١١٢٥هـ)، ١٤٩/٨.

[٣] ينظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، عبد الكريم زيدان، ٥١٥/١.

[٤] سورة الكهف، الآية ٨٧.

[٥] ينظر: مجمع البيان، الطبرسي (ت:٥٤٨هـ)، ٣٨٢/٦.

[٦] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي(ت:٦٩١هـ)، ٢٩٣/٣، وينظر: كنز الدقائق وبحر الغرائب، القمي المشهدي (ت: ١١٢٥هـ)، ١٤٩/٨.

المؤمن ومنهم الكافر ومنهم الصالح ومنهم الطالح فكان ذو القرنين شديد الذكاء وعادل وحكيم بين الناس فمن كان مؤمناً صالحاً يعامله بيسر ولين وسهولة ومحبة واحترام، وأما من كان ظالم كافر طاغ فله عذابين في قانون ذي القرنين الأول في الحياة الدنيا على يده والآخروي في يوم القيامة.

وبذلك يعد ذو القرنين إنموذجاً للحاكم العادل والقائد الصالح الذي ربى شعوبه على عبادة الله الواحد الأحد ووضع الجزاء العادل لكل إنسان سواء أكان مؤمناً أم كافراً [١].

وقوله تعالى: **﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾** [٢]،.

فذكرتُ سابقاً أن لفظة (سبب) لها معاني عديدة منها الطريق العلم وغيرها وأما هنا لفظة (سبب) تعني الطريق أي أن ذا القرنين اتبع طريقاً آخر للوصول إلى مشرق الشمس [٣]، فالطبرسي (ت:٥٤٨هـ) وصف مشرق الشمس بقوله: " **لم يكن بها جبل ولا شجرة، ولا بناء، لأن أرضهم لم يكن يثبت عليها بناء، فكانوا اذا طلعت الشمس يغورون في المياه والأسراب، واذا غربت تصرفوا في أمورهم**" [٤].

وقيل إن أرضهم لا تمسك الأبنية أو أنهم اتخذوا الأسراب بدل الابنية"[٥]، يتبين أن المشرق هي أرض صحراء قاحلة خالية من النباتات والعمران وغيرها.

---

[١] ينظر: سنة الله في الأخذ بالأسباب، علي الصلابي، ١٩-٢١.

[٢] سورة الكهف، الآية٩٠.

[٣] ينظر: مجمع البيان، الطبرسي (ت:٥٤٨هـ)، ٣٨٣/٦، وينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي(ت:٦٩١هـ)، ٢٩٣/٣.

[٤] مجمع البيان، الطبرسي (ت:٥٤٨هـ)، ٣٨٢/٦.

[٥] أنوار التنزيل واسرار التأويل، البيضاوي(ت:٦٩١هـ)، ٢٩٣/٣، وينظر: كنز الدقائق وبحر الغرائب، القمي المشهدي (ت: ١١٢٥هـ)، ١٥١/٨.

إن الله تعالى يعلم بجميع ما مر به ذو القرنين وجيشه[١]، وبعدها بدأت رحلة ذو القرنين إلى يأجوج ومأجوج قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [٢].

فإن يأجوج ومأجوج هما قبليتان من ولد يافث بن نوح، قيل ان يأجوج من الترك ومأجوج من الجبل وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف [٣].

عن الإمام الصادق(عليه السلام) : " **الدنيا سبعة أقاليم: يأجوج ، مأجوج، الروم، الصين، الزنّج، قوم موسى، وإقليم**" [٤]، ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يخربون الأرض بكل وسائل التخريب من قتل وظلم وبطش ودمار وقيل أنهم لا يتركون أخضر أو يابساً[٥].

طلب الناس من ذي القرنين أن يقوم بإنشاء سداً بينهم وبين يأجوج ومأجوج يحميهم من ظلمهم وبطشهم وعرضوا عليه أن يجمعون ما لديهم من أموال ليقوم بناء السد فأجابهم بقوله تعالى: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾[٦] ، كان الناس يعانون من ظلم يأجوج ومأجوج وبطشهم وطلبوا من ذي القرنين أن يخلصهم من هذه الأساة وعرضوا عليه الأجر مقابل ذلك إضافة إلى أن تعاونهم معه في بناء السد، أي أن الله تعالى أعطاني القوة والتمكين والمال

---

[١] ينظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، عبد الكريم زيدان، ٥١٦/١.

[٢] سورة الكهف، الآية٩٤.

[٣] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي(ت:٦٩١هـ)، ٢٩٤/٣.

[٤] كنز الدقائق وبحر الغرائب، القمي المشهدي (ت: ١١٢٥هـ)، ١٥٣/٨.

[٥] ينظر: المصدر نفسه، ١٥٣/٨-١٥٤.

[٦] سورة الكهف، الآية ٩٥.

وهو خير من المال الذي تجمعونه لي [١]، فرفض ذو القرنين أموالهم وطلب منهم المساعدة بأبدانهم وقومهم ليتمكنوا من بناءه[٢].

وإن حكمة ذو القرنين برفض أموال المستضعفين شجعهم على العمل والكسب والنجاح فنجد بقوله تعالى: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾، معلماً بارزاً على تكاتف الجهود وابراز الطاقات والتعاون في ما بينهم للوصول إلى افضل حال وحماية انفسهم وعوائلهم من ظلم يأجوج ومأجوج [٣].

فبعد الاتفاق بينهم على التعاون بدأت خطة العمل في قوله تعالى: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ [٤].

استعمل ذو القرنين قطع الحديد الكبيرة وقام بترتيبها بجانب الجبلين [٥]، ثم وضع عليها الحطب وقام بإشعال النار فأذاب الحديد [٦]، قوله تعالى: ﴿أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ فيقصد بالقطر هنا النحاس المذاب المخلوط مع الحديد ويستخدم في الجسور وما شابه لقوته وصلابته [٧].

والطريقة التي استعملها ذو القرنين تعدّ من الطرق الحديثة في وقتنا الحاضر إذ تزيد الحديد قوة وصلابة فكان ماهراً مبدعاً في قياسه للأمور فلم يبنِ من الحجر

---

[١] ينظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، عبد الكريم زيدان، ١/٥١٦-٥١٧.

[٢] ينظر: فتنة الدال ويأجوج ومأجوج ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي، تحقيق: احمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي، ط٢، دار ابن الجوزي، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، ١٠٩.

[٣] ينظر: سنة الله في الأخذ بالأسباب، علي الصلابي، ٢٧.

[٤] سورة الكهف، الآيات ٩٦-٩٨.

[٥] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (ت:٦٩١هـ)، ٣/٢٩٤.

[٦] ينظر: كنز الدقائق وبحر الغرائب، القمي المشهدي (ت: ١١٢٥هـ)، ٨/١٥٨.

[٧] ينظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، عبد الكريم زيدان، ١/٥١٨.

واللبن حتى لا ينهار بأول هجوم وقدّر ذو القرنين منذ البداية حجم الخطر المحيط بهم وبهذه الطريقة باءت جميع محاولات الفاسدين بالفشل[١]، قام ذو القرنين ببناء السد بأفضل طريقة إذ تجعلهم عاجزين عن نقبة أو تسلطه.

قوله تعالى:﴿ **فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا**﴾[٢]، فنجد هنا هذا التأكيد على أن ذا القرنين استعمل أفضل طريقة في بناءه فلم يستطيعوا أن يتسلقوه لعلوه وارتفاعه وملامسته ولا يستطيعون أن يثقبوه لصلادته وقوته [٣]، وقيل: "**إن ذا القرنين عبداً صالحاً طويت له الأسباب ومكن له في البلاد...** " [٤].

فنلاحظ حرص القرآن على ربط كل ما يحدث في الكون بإدارة الله تعالى وقدرته لعلمه تعالى بكل الأمور، وتعتبر قصة ذي القرنين نموذجاً وفق ارادة الله تعالى [٥].

---

[١] ينظر: سنة الله في الاخذ بالأسباب، علي الصلابي، ٢٣.

[٢] سورة الكهف، الآية ٩٧.

[٣] ينظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، عبد الكريم زيدان، ٥١٧/١.

[٤] كنز الدقائق وبحر الغرائب، القمي المشهدي (ت: ١١٢٥هـ)، ١٦٦/٨.

[٥] ينظر: سنة الله في الاخذ بالأسباب، علي الصلابي، ٣١.

المبحث الرابع

خرق الأسباب في ولادة عيسى (عليه السلام)

جاءت قصة عيسى (عليه السلام) وولادته على ما كان يؤمنون به الناس في وقته، وشائع ومتعارف عليه وهو النظرية الايونية* وهي نظرية قائمة وثابتة على الأسباب والمسببات ولا تختلف الأمور في الحياة عن هذه القاعدة نهائياً فجاء رد الله تعالى عليهم من خلال ولادة المسيح (عليه السلام) من أم دون أب وهو خرق لنظام الكون، لأن المتعارف عليه أن الطفل يولد من والدين، وقصة ولادة عيسى (عليه السلام) لا تختلف بتاتاً عن ولادة يحيى (عليه السلام) فقد كانت ولادته في ظروف تعجيزية فكان والده كبير بالسن وأمه عاقر، والعقر هو مرض ولادي ويمنع المرأة من الإنجاب مدى العمر لكن رحمة الله تعالى به خرق لهم نظام الأسباب والمسببات وخرق للنظرية الأيونية التي كانت معروفة في زمانهم.

حقيقة وقبل البدء بمعرفة من هو عيسى وما هي معجزاته بوصفه نبياً من أنبياء الله وله كتاب وشريعة سأتطرق إلى ذكر المعجزات التي صاحبت ولادة والدته السيدة مريم (عليها السلام) لأنها ولدت في ظروف استثنائية.

ذُكرت قصة عيسى (عليه السلام) في سورة مريم مفصلة وهي من السور المكية [1]، قوله تعالى: **﴿كهيعص * ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾** [2].

---

* النظرة الأيونية: "هي أساس الفلسفة اليونانية وكانت تقوم على الأخذ بالأسباب والمسببات وتولد المعلول من العلة في انتظام قائم لا يختلف، فجاءت معجزات أنبياء بني إسرائيل في هذا العصر خارقة للأسباب والمسببات، لتثبت أن الكون كله بإرادة مريد مختار لا يفعل إلا ما يريد ولا يصدر عنه بغير إرادته الثابتة". مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، ط٣، دار القلم-دمشق، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ٢٧.

[1] ينظر: الميزان، الطباطبائي (١٤٢هـ)، ١١٤/١٨.

[2] سورة مريم، الآيات ١-٥.

نجد ان السورة ابتدأت بالحروف المقطعة (كهيعص) وقيل: إن كل حرف من الحروف المقطعة هو حرف من أسماء الله الحسنى، فالكاف من الكبير والهاء من الهادي والياء من الحكيم والصاد من الصادق وروى عن علي (عليه السلام) أنه دعا فقال: اللهم سألتك ياكهيعص والمعنى سألتك ياالله بأسمائك الحسنى [1].

قال الطوسي(ت: ٤٠٦هـ): " **ذكر رحمة ربك عبده زكريا (ذكر رحمة) أي نعمة ربك" ... إذ نادى ربه نداءً خفياً أي حين دعا ربه دعاء خفياً أي سراً غير جهراً لا يريد به رياء .. واصل النداء مقصور من ندى الصوت بترى الحلف** " [2]، والمقصود أن زكريا دعا ربه سراً ، قال الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ): " **ذكر رحمة ربك عبده زكريا المراد بالرحمة هنا استجابته سبحانه دعاء زكريا –فالنداء والمناداة الجهر بالدعوة خلاف المناجاة ولا ينافيه توصيفه بالخفاء لا مكان الجهر بالدعوة في خلاء من الناس لا يسمعون معه الدعوة..** " [3].

وفي كلا التفسيرين فإن ذكر رحمة ربك عبده زكريا معناه دعا زكريا ربه ولا فرق ان كان دعاؤه لربّه سراً أو جهراً .

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [4]،فالآيات المباركة توصف حاله وكبر سنه.

قال الطوسي (ت: ٤٦٠هـ): " **أضاف الوهن إلى العظم مع صلابته اذ كبر ضعف وتناقص مكيف باللحم والعصب... اشتغل الرأس شيباً معناه انتشر الشيب في الرأس، كما ينتشر شعاع النار، وهو من أحسن الاستعارات، والاشتعال انتشار**

---

[1] ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، ١٠٤/٧.

[2] المصدر نفسه، ١٠٤/٧.

[3] الميزان، الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ)، ٨/١٤.

[4] سورة مريم، الآيات٣-٥.

شعاع النار، والشيب مخالطة الشعر الابيض للأسود في الرأس وغيره من البدن"[١].

وقيل (وهن العظم مني) تمهيداً لما يأتي بعد (فهب لي من لدنك ولياً والوهن هو الضعف وعدم القدرة ونسب الضعف إلى العظم لأنه الدعامة الأساسية ويمثل هيكل جسم الإنسان في حركته وسكونه وهناك فرق كبير بين وهن العظم مني وعظمي لأنها دلالة على اسم الجنس واستعمل القرآن الكريم أجمل الاستعارات للتعبير عن الشيب الذي يملأ الرأس كأنها لهيب النار المحترق [٢].

فالآية المباركة توصف حال زكريا أنه كبير بالعمر والإنسان كلما كبر تناقص صحته الجسدية والنفسية والصحية فيوصف حاله بأن رأسه مملوء بالشيب وعظامه واهية.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ ، يكمل زكريا وصف حالة من كبر سن وضعف قوته، فكانت امرأتي عاقر (فالعقر) هو مرض يصيب الرجل والمرأة ويمنعه من الإنجاب [٣].

قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾[٤] أي ليس من الصعب على الله تعالى أن يخلق الولد من شيخ كبير بالعمر وامرأة عاقر لأن الله تعالى قادر على كل شيء [٥]، فالآية دليل على أن الله تعالى قادر على خرِق نظام الأسباب والمسببات[٦].

---

[١] التبيان في تفسير القرآن، الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، ١٠٥/٧.

[٢] ينظر: الميزان، الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ)، ٨/١٤-٩.

[٣] ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، ١٠٦/٧. وينظر: الميزان، الطباطبائي (ت:٤٠٢هـ)، ١٠/١٤.

[٤] سورة مريم، الآية ٩.

[٥] ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي (ت:٤٦٠هـ)، ١١٠/٧.

[٦] ينظر: القدرة الإلهية والأسباب في القرآن الكريم سورة مريم انموذجاً، رحاب رفعت فوزي عبد المطلب، مجلة الدراسات العليا والبحوث الاكاديمية ، العدد (٦٤)، ص٣٢٥.

إن الآية المباركة هي بمثابة إطمئنان إلهي أن الله تعالى قادر على خلق الجنين في رحم امرأة عاقر كان الحمل في ظروف استثنائية، فرغم اجتماع الظروف إلا أنهم استطاعوا الإنجاب لأن الله تعالى قادر على كل شيء فلم ييئس زكريا (عليه السلام) ولم يتوقف عن الدعاء ولأن رحمة الله له خرقت كل الأسباب.

قال تعالى: **﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾**[١].

فطلب زكريا من ربه أن تكون هناك علامة أو دليل فقال: **﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾** ، فالعلامة هنا هو أن لا تكلم الناس ثلاث ليالٍ من غير مرض أو خرس [٢]، **﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾** " **الإيحاء معناه إلقاء المعنى إلى النفس في خفي بسرعة من الأمر... وقيل كتب لهم على الأرض وأوحى اليهم أن سبحوه بكرة وعشياً أو اوحى اليهم بالتسبيح ... وقيل للصلاة تسبيح لما فيها من الدعاة والتسبيح** " [٣]، (فأوحى لهم) معناها استخدام إشارة أو رمزاً [٤]. فنلاحظ الإيحاء هنا العلامة أو الدليل ويكون عن طريق الإشارة أو العلامة أو الكتابة.

كانت أم المسيح مريم (عليها السلام) حملت بها والدتها ونذرت ان تجعل ما في بطنها لخدمة المسجد ولما ولدتها أنثى حزنت كثيراً لأن خدمة الولد اكثر من خدمة البنت، وقبل ولادتها توفى والدها فقررت أن ترسلها إلى

---

[١] سورة مريم، الآيات ١٠- ١١.

[٢] ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، ١١١/٢، ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن فُعلا اللويحق، ط٢، دار السلام للنشر، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م، ٥٧٠.

[٣] التبيان في تفسير القرآن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، ١١١/٢.

[٤] ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ٥٧٠.

الكهنة فقاموا بالإقتراع على زكريا وكفلها[1]، فعندما حملت حنه تمنت لو أن ما في بطنها يكون ولداً، ليس تفضيل الذكر على الانثى، وإنما المجال أكبر للذكر لخدمة المسجد وفي إثناء الحمل بها توفى والدها، وبعد ولادتها قاموا بالاقتراع بين الكهنة أيهما يقوم برعايتها، فوقع الإقتراع على زكريا (عليه السلام) ، أن يكفل مريم ويقوم بتربيتها.

فكانت مريم (عليها السلام) من النساء العفيفات ﴿**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[2].

فتقبلها ربها معناها رضى الله تعالى بالنذر واخلاصها لعبادة الله وأنشأها الله نشئة حسنة وأفضل تربية [3]، فكان زكريا عندما يدخل على السيدة مريم (عليها السلام) يجد عندها فاكهة لم تكن موجودة في وقتها فكان يجد فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء [4].

قال الطباطبائي (ت:١٠٤٢هـ): " **ان الذي دعاه إلى طلب الولد هو ما شاهده من عبادة مريم وكرامتها عند الله سبحانه فأحبَّ ان يرزق ولداً يماثلها في العبادة والكرامة .. وفي بعض الآثار أن زكريا كان يجد عند مريم فواكه غير**

---

[1] ينظر: القصص القرانية وتاريخ الأنبياء في تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي، إعداد وتنظيم حسين فعّال، ط٢، دار الرسول، بيروت– لبنان، ١٤٢٨هـ– ٢٠٠٧م،/٦٠٩. وينظر: قصص الأنبياء، المجلسي، ٦٥٠.

[2] سورة آل عمران، الآية ٣٧.

[3] ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي (ت:٤٦٠هـ)، ٤٤٧/٢.

[4] ينظر: كرامات الأولياء، أبي القاسم هبة الله بن الحسين بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (ت:٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي ، ط٨، دار طيبة للنشر، ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٣، ٧٨.

موسمها ثمرة الشتاء في الصيف وثمرة الصيف في الشتاء لم يعز عليه ان يرزقني ولداً في غير وقته وأنا شيخاً فانٍ، وامراتي عاقر" ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي ﴾[1].

قد يكون السبب الذي جعل زكريا (عليه السلام) أن يطلب الولد رغم عدم توافر الظروف الصحيحة للإنجاب، لأنه شاهد قدرة الله تعالى في أمور كثيرة منها رزق السيدة مريم العذراء (عليها السلام) إذ وجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء فكانت هذه من الأمور العجيبة في ذلك الوقت[2].

إن الله تعالى يرزق من يكون أهلاً للرزق وكانت مريم (عليها السلام) أهلاً لذلك شاكرة لله تعالى ذاكرة لنعمه وفضله عليها وجعل الله منها بركة لقومها وهو عيسى (عليه السلام)[3]، فكانت من أفضل النساء، ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: " **حسبك من نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وآسيا امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد** " [4].

فالاحاديث والروايات التي تشيد بمكانة السيدة مريم (عليها السلام) كثيرة واكتفيت بهذه الروايتان لعدم الإطالة " **فالسيدة مريم (عليها السلام) كانت سيدة عالمها قال النبي (صلى الله عليه وآله) كانت مريم سيدة نساء زمانها، أما ابنتي فاطمة فهي سيدة نساء العالمين من الأوليين والآخرين**" [5].

---

[1] الميزان، الطباطبائي(١٤٠٢هـ)، ١٤/١٥.

[2] ينظر: المصدر نفسه: ١٤/١٥-١٦.

[3] ينظر: العذراء مريم وميلاد المسيح (عليه السلام) بين القرآن والإنجيل، فتحي فوزي عبد المعطي، نهضة مصر، ٣٠.

[4] بحار الأنوار، المجلسي، تحقيق: يحيى العابدي الزنجاني، كاظم الموسوي الميانوي، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، ٣٧/٧٠.

[5] الزهراء (عليها السلام) سيدة نساء العالمين، ناصر مكارم الشيرازي، ط١، مدرسة الإمام علي (عليه السلام)، قم،٥.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[1]، معناها ان الملائكة بشرت السيدة مريم (وبشرك) من البشارة وهو الخبر السار بـ(كلمة منه) معناها عيسى (عليه السلام) .

وفيها ثلاثة أوجه أما سمي بذلك لأنه خُلِقَ من غير والد وقال تعالى: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ أو أن الله بشر الناس بعيسى في الكتب السابقة أيضاً أو ان الله تعالى يهدي به كما يهدي بكلمته [2].

فكانت بشارة مريم بعيسى (عليه السلام) لأنها ولدت في ظروف غير معتاد للبشر من قبل، فقد ولد من دون اب ومن امرأة طاهرة عفيفة أو لأن الله قد بشر الناس في الكتب السماوية السابقة بولادة عيسى (عليه السلام)، أو لأن على يديه هداية كثير من الناس.

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ [3]، ومعنى الآيات المباركة ان السيدة مريم (عليها السلام) انفردت عن قومها بمكان خاص بها للعبادة من جهة القبلة واتخذت منهم حجاباً فمنهم من قال: حاجز من الجدران بينها وبين قومها، وقيل اتخذت من الشمس جعلها الله لها ساتراً، وأرسلنا إليها روحاً أي جبرائيل (عليه السلام) بهيئة بشر وسمي روحاً لأنه لو بينه غير ذلك وهذا الوصف تشريعا له [4]، فبعد أن إعتزلت قومها لأجل العبادة جاءها الوحي جبرائيل (عليه السلام) بهيئة بشر، قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾[5]، قال

---

[1] سورة آل عمران، الآية ٤٥.

[2] ينظر: التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، ٢/٤٦١- ٤٦٢.

[3] سورة مريم، الآيات ١٦-١٨.

[4] ينظر: التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، ٧/١١٥.

[5] سورة مريم، الآية ١٨.

البيضاوي (ت:٦٨٢هـ) " **تتقي الله وتحتفل بالاستعاذة جواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فأنى عائذة منك أو فتتعذ بتعوذي أو فلا تتعرض لي ويجوز أن تكون للمبالغة أي ان كنت تقياً متورعاً فإني اتعوذ منك فكيف إذا لم تكن كذلك**"[١].

فتبين أنه بعد مجيء الملك جبرائيل (عليه السلام) بهيئة بشر خافت منه واستعاذت بالله تعالى ثم طمأنها بقوله كما حكاه القرآن الكريم.

قوله تعالى: ﴿**قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا**﴾ [٢].

قال السمرقندي (ت:٣٨٣هـ): " (من أين يكون لي ولد ولم يمسسني بشر) يعني لم أكن ذات زوج (ولم أك بغيا) يعني لم أك فاجرة ... قال لها (قال ربك هو عليّ هين) وتعني خلقه على يسر " [٣]، نجد أن مريم (عليها السلام) استفهمت الامر لأنها كانت من العفيفات ولم تكن متزوجة.

قال البيضاوي (ت: ٦٨٢هـ): " **لم يباشرني رجل بالحلال فإن هذه الكنايات انما تطلق فيه وأما الزنا فإنما يقال منه خبث بها وفجر ونحو ذلك ... (قال كذلك قال ربك هو عليّ هين أي يفعل ذلك لنجعله آية لو لنبين له قدرتنا ولنجعله (آية للناس) علامة لهم وبرهاناً على كما قدرتنا ورحمة منا للعباد ليهتدون به**" [٤]، فكان خلق عيسى (عليه السلام) من أم دون أب هو علامة من الله تعالى ليهتدوا وليعملوا أن قدرة الله تفوق كل شيء.

---

[١] تفسير البيضاوي، البيضاوي (ت: ٦٨٢هـ)، ١٠/٤.

[٢] سورة مريم، الآيات ١٩-٢١.

[٣] تفسير السمرقندي، أبو الليث السمرقندي (ت:٣٨٣هـ)، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر، ٣٧٢/٢.

[٤] تفسير البيضاوي، البيضاوي (ت: ٦٨٢هـ)، ١١/٤.

إن مناسبة الآيات المباركة لما قبلها أنه تعالى لما ذكر قصة زكريا وطلبه الولد وأجاب الله لدعائه وجاءه الولد في ظروف مختلفة عن العادة وهو رجل كبير السن وزوجته عاقر فكان ذلك غريباً وعجباً أردفه الله تعالى بما هو أغرب منه وأعجب وهو ولادة ذكر من أم ولكن من دون أب وبذلك قص عليهم قصص أخرى هي قصة أهل الكهف وقصة موسى والعبد الصالح وقصة ذي القرنين فذكر لهم قصص لم يسألوه عنها في السورة المباركة تأكيداً لهم على عظمة الله وقدرته ثم ذكر غيرها في القصص ثم يبين لها الملك جبرائيل(عليه السلام) أن الله تعالى الناظر في مصلحتك والمالك لأمرك أن يهب لك غلاماً من دون زوج ومن دون أن يمسك بشر وعبر ﴿ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ أما نكاح (زوجها بالحلال) أو سفاح أي عن طريق الزنا العياذ بالله حاشا أن تكون السيدة مريم (عليها السلام) ممن يفعل الرذيلة وإنما الله تعالى قادر على خلقه في أحشاءها من دون ذلك ليجعله آية للناس وليعلموا أن قدرة الله وإرادته لا حدود لها [1].

فاستفهمت السيدة مريم (عليها السلام) من وقوع أمر من دون توفر أسبابه الطبيعية [2]، ودُهشت واستغربت لأنها امرأة عذراء ولم تتزوج فمن أين يأتيها هذا الولد [3].

فكان حمل مريم (عليها السلام) معجزة كبرى خارقة لنظام الأسباب والمسببات في زمن لا يؤمنون إلاّ بالمادة ولا يعترفون بالروح اطلاقاً لا بدراساتهم الدينية ولا عقيدتهم فكانت هذه المعجزة تختلف عن معجزات الأنبياء لأنها أبطلت الأسباب

---

[1] ينظر: تفسير البحر المحيط، أبي حيان الاندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، زكريا عبد المجيد النوقي، اجمل النجولي الجمل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ٦/١٧٠-١٧٢. وينظر: التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي (٤٦٠هـ)، ٢/٤٦٥.

[2] ينظر: فقه السنن الإلهية، عادل بن بو زيد عيساوي، ط١، شعبان ١٤٣٣.– تموز٢٠١٢، ٢٦٣.

[3] ينظر: القصص القرآني، صلاح لخالدي، ٤/٢٠٧.

العادية والمسببات ولوازمها [١]، قوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ [٢]، إن النفخ هنا معناه نفخنا الروح في عيسى فيها وقيل النفخ في مريم من مهمة روحنا وهو جبرائيل (عليه السلام) [٣].

قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا * فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [٤]، فبعد حمل السيدة مريم (عليها السلام) بعيسى (عليه السلام) قيل إن مدة الحمل كانت تسعة أشهر وقال آخرون: ثمانية أشهر، ومنهم من قال حملها ساعة وغيرها من الروايات، وعندما شعرت بألم الولادة وجاءها الطلق تمنت الموت قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾ ففي هذه اللحظة تمنت السيدة مريم الموت فكانت مهمومه كيف تواجه قومها بهذا المولود [٥].

فلما جاءها الأمر الإلهي بتساقط التمر عليها من جذع النخلة اليابسة يساقط عليها الرطب لتأكل منه واشربي من النهر ولا تحزني وطيبي نفساً بولادة عيسى(عليه السلام) [٦].

---

[١] ينظر: القدرة الإلهية والأسباب في القرآن الكريم (سورة مريم أنموذجاً)، رحاب رفعت فوزي، مجلة الدراسات الإسلامية والبحوث الأكاديمية، العدد (٦٤)، ٣٢٣. ينظر: القصص القرآني، صلاح الخالدي، ٢٠٩/٤.

[٢] سورة التحريم، الآية ١٢.

[٣] القدرة الإلهية والأسباب في القرآن الكريم (سورة مريم انموذجاً)، رحاب رفعت فوزي عبد المطلب، ٣٢٦.

[٤] سورة مريم، الآيات ٢٢-٢٥.

[٥] ينظر: تفسير السمرقندي، أبو ليث السمرقندي (ت:٣٨٣هـ)، ٣٧٢/٢- ٣٧٣وينظر: تفسير البحر المحيط ، أبي حيان الأندلسي (ت:٧٤٥هـ)، ١٧٣/٦.

[٦] ينظر: تفسير السمرقندي، السمرقندي (ت:٣٨٣هـ)، ٣٧٣/٢ ، وينظر: تفسير البحر المحيط ، الاندلسي (ت:٧٤٥هـ)، ١٧١/٦-١٧٤. وينظر: قصص الأنبياء، المجلسي، ٦٥٢.

مما سبق يتبين أن الله تعالى أرشد السيدة مريم أن تهز جذع النخلة فرغم أنها يابسة إلا أن رحمة الله تعالى بها ولطفه تساقط منها رطب والرطب هو أهم الأغذية للمرأة عند الولادة لإحتوائها جميع العناصر الغذائية وجاءها الإطمئنان الإلهي لا تحزني وأفرحي وقري عينيك بمولودك عيسى (عليه السلام) .

قوله تعالى: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا * فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [1]، فالآيات المباركة تبين الحوار الذي دار بين مريم (عليها السلام) وقومها، قال الصنعاني (ت:٢١١هـ):"**إني نذرت للرحمن صوماً في بعض الحروف صمتاً ... جعل الله تلك آية لمريم وابنها ولا يحل لأحد أن ينذر صمتاً إلى الليل واما قوله صوماً فإنها صامت عن الطعام والشراب والكلام... وفي قوله يا أخت هارون لأنه كان رجل صالح في بني اسرائيل يسمى هارون فشبهوها به فقالوا يا شبيهة هارون في الصلاح** " [2]، ويتبين من قول الصنعاني أن الصيام تضمن أمرين كان الأول صيام عن الطعام والشراب والثاني صيام عن الكلام.

قال السمرقندي (ت:٣٨٣هـ): " **إني نذرت للرحمن صمتاً** " (فلم أكلم اليوم إنسيا) يعني قولي ذلك بالإشارة لا بالقول وكان المتقدمون يصومون من الكلام كما يصومون من الطعام ، (فأتت به قومها تحمله) وذلك إن مريم حملت عيسى ودخلت على أهلها وكان أهلها أهل بيت صالحين... لقد فعلت أمراً منكراً عزيماً لا يعرف منك ولا من أهل بيتك (يا أخت هارون) يعني هارون بن ماثان وكان من أمثل بني

---

[1] سورة مريم، الآيات ٢٦-٢٨.

[2] تفسير القرآن، عبد الرزاق الصنعاني (ت:٢١١هـ)، تحقيق مصطفى مسلم محمد، ط١، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية، ٨/٣.

اسرائيل[١] يعني يا نسبة هارون في الصلاة والصلاح... فما كان أبوك زانياً وما كانت أمك بغياً يعني فاجرة، تبين مما سبق ان الحوار دار بينها وبين قومها وكان كلامها معهم من خلال إشارة للطفل الرضيع.

قال أبي حيان الأندلسي (ت:٧٤٥هـ): " **إن إتيانها كان من ذاتها وقيل: طهرت من النفاس بعد اربعين يوماً وان الله تعالى قد أراها آيات واضحات وكلمها عيسى ابنها وحنت إلى الوطن وعلمت أن عيسى سيكفلها من يكفلها فعادت إلى قومها...** " [٢]، فبعد أن بين الله لها علامات واضحات رجعت إلى قومها ودار الحديث بينهم ، لأنها كانت من العفيفات ومن أسرة معروفة يا أخت هارون لأنهم كانوا من الصالحين وما اتهموها به نفوا التهمة عن والديها لأن والديها لم يفعلا المنكر ولم تكن والدتها فاجرة [٣]، قوله تعالى: ﴿**فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا**﴾ [٤]، "**فأشارت إلى عيسى أن يكلموه وهو صغيرة في المهد فغضبو منها كيف نكلم طفل رضيع فأنطق عيسى وتكلم فكان أول ما نطق به عيسى (عليه السلام) بأنه عبدالله ورسوله وكان رد على النصارى وأعطاني (الإنجيل) وأكرمني ربي بالنبوة وأوصاني وأمرني بالصلاة وإعطاء الأموال إلى مستحقيها (الزكاة) وأوصاني ربي البر بوالدتي ولم يخذلني حتى لا أكن جباراً شقياً**" [٥].

---

[١] تفسير السمرقندي، السمرقندي (ت:٣٨٣هـ)، ٣٧٤/٢.

[٢] تفسير البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، ١٧٧/٦.

[٣] ينظر: المصدر نفسه، ١٧٧/٦.

[٤] سورة مريم، الآيات٢٩- ٣٣.

[٥] تفسير السمرقندي، السمرقندي (ت:٣٨٣هـ)، ٣٧٤/٢.

فالآيات المباركة تتحدث عن ما نطق به عيسى(عليه السلام) عندما رجعت مريم إلى قومها، قال أبو حيان الاندلسي (ت:٧٤٥هـ): " **(فأشارت اليه) انما أشارت إليه، أي هو الذي يجيبكم اذا ناطقتموه وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا ويروى أنهم لما أشاروا إلى الطفل قالوا: استخفافها بنا أشد علينا من زناها، ثم قالوا لها على جهة الإنكار والتهكم بها أي أن من كان في المهد يُربيّ لا يكلم وإنما أشارت إليه لما تقدم من وعده أنه يجيبكم عنها ويغنيها عن الكلام وقيل بوحي من الله إلينا**" [(١)].

يتبين مما سبق إن خرق الأسباب في قصة السيدة مريم وعيسى (عليهما السلام) تتلخص بالنقاط الآتية:

١-قبل الحمل قوله تعالى: ﴿ **كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا**﴾ وقيل وجد عندها فاطمة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء، وأياً كان هذا الرزق فهو غريب وعجيب.

٢-الحمل من غير زوج.

٣-خرق الأسباب في مدة حمل مريم (عليها السلام).

٤-خرق الأسباب في أكل مريم (عليها السلام) وشرابها.

٥-خرق الأسباب في كلام عيسى (عليه السلام) في المهد.

٦-خرق الأسباب إحياءه الأكمه والأبرص وإحياء الموتى.

[(١)] تفسير البحر المحيط، الاندلسي، ١٧٨/٦.

الخـــاتمة

في نهاية هذه الرحلة القصيرة حصلت على مجموعة من النتائج:

١- تأثر أكثر الفلاسفة المسلمين بتقسيم أرسطو للعلل.

٢- أكد ابن سينا التلازم بين العلل (المادية-الصورية- الفاعلة- الغائية).

٣- وضح الفارابي ان في حال وجود علة من دون معلولها فهي ليست علل وإنما معدات.

٤- أكد الفارابي على التلازم بين الأسباب والمسببات والعلل والمعلولات.

٥- أثبت الكندي أن العلة الأولى في الكون متمثلة بالله تعالى وهو القادر على الخلق من العدم.

٦- التوافق بين الأمور الدينية والفلسفة اليونانية عند الكندي.

٧- وفق الكندي بإبراز الثقافة العربية الإسلامية رغم تأثره بالفلسفة اليونانية ووجود ثقافاتاً.

٨- رفض ابن رشد السفوسطائية القائلين برفض العلاقة بين الأسباب والمسببات.

٩- أثبت ابن رشد أن كل ما هو موجود في الكون مسخر لخدمة الإنسان.

١٠- حاول ابن رشد إثبات السببية من خلال أدلة وجود الله.

١١- نفى الغزالي العلاقة بين الأسباب والمسببات وبيّن أن الله تعالى قادر على كل شيء من دون الحاجة إلى هذا التلازم.

١٢- الفاعلية السببية هي أساس كل الأمور الدنيوية فلا يوجد شيء إلا وله سبب.

١٣- تلازم وجود العلة مع المعلول والسبب مع المسبب.

١٤- إرجاع الأمور إلى الله تعالى فهو وحده مسبب الأسباب.

١٥- إن إتباع الأسباب والمسببات من الضروريات الدينية.

١٦- لا تصح جميع الأعمال في الحياة سواء أكانت الواجبة أم المستحبة من دون التوكل على الله.

١٧- التوكل على الله والأخذ بالأسباب متلازمان لابد أن يكونا معاً.

١٨- إن مبدأ السببية عام ويشمل جميع الموجودات في كل زمان ومكان.

١٩- إن الأسباب مهما تعددت وعظمت فلا تكون قائمة إلا بإذن الله تعالى.

٢٠- إن نفي السببية يهدم القانون الإلهي الذي نص عليه القرآن الكريم.

٢١- خرق القانون الإلهي العام عند حدوث المعجزة.

٢٢- إن الأمور الخارقة نستطيع القول إنها على نوعين ما يتعلق بالخير كالكرامة والمعجزة ما يتعلق بالشر كالسحر والكهانة وجميعها تحتاج إلى إذن الله تعالى.

٢٣- تأكيد القرآن الكريم على أن طريق النجاة هو طريق الحق الذي اتبعه القليل من قوم نوح (عليه السلام) وركبوا معه السفينة.

٢٤- الثبات على طريق الحق عند نوح (عليه السلام) رغم فقدانه ولده، فلم يتزعزع إيمانه إطلاقاً وبقى مطبقاً لله راجياً منه الحفظ والرعاية.

٢٥- تبين لنا قصة ذي القرنين الارتباط الوثيق بين الأحكام الشرعية والحياة.

٢٦- أثبت القرآن الكريم أن طلب العلم لم يتوقف على حد معين أو مكانة معينة فالنبي موسى (عليه السلام) كليم الله ولم يتوقف على طلب العلم، والإنسان مهما بلغ من السن يبقى بحاجة إلى التعلم ولم تكن قصته (عليه السلام) للتعارف والتناظر بل للعلم والتعلم.

٢٧- نرى أن موسى (عليه السلام) كان محقاً عند اعتراضه على قتل الغلام لأن نظرته للموقف كانت آنية.

٢٨- نجد أن ترميم العبد الصالح للجدار فيه تعليم المجتمع على التكافل والتعاون.

٢٩- بدأت الرحلة باستنكار موسى (عليه السلام) ما فعله العبد الصالح من تخريب السفينة لأنه أمر مخالف للشرع.

٣٠- التأكيد على قدرة الله تعالى المطلقة فهو سبحانه لا يُعجزه شيئاً فبث الروح بالسمكة دليل على قدرة إحياء الموتى للبعث.

٣١- بين القرآن الكريم أنه تعالى يستطيع خرق قانون الأسباب والمسببات مع الأنبياء والرسل (عليهم السلام).

٣٢- بين القرآن الكريم أن للأمور الدنيوية ظاهر وباطن ومهما كان الظاهر صعب وقاسي بالنسبة لنا إلا أنه أكيد أرحم وافضل مما نريد ونتمنى.

٣٣- أعطى الله تعالى الحرية لذي القرنين في عقوبة الكافرين إن شاء قتلهم وإن شاء أسرهم وعلمهم.

٣٤- أكد القرآن الكريم على الحكمة والعدل في الأقوال والأعمال وهذا ما وجدناه في قصة ذي القرنين التي تحمل في طياتها الكثير من العبر والعضات.

٣٥- تمنحنا قصة ذي القرنين طاقة إيجابية بأن الله تعالى يغير الحال من العسر والهم إلى اليسر والرفاهية.

٣٦- تحلى ذو القرنين بالأخلاق الحميدة فلم تسجل عنه كتب التفسير أو كتب القصص إنه اعتدى على أحد أو ظلم أحد.

٣٧- أثبت القرآن الكريم أن الله تعالى قادر على أن يدير الكون بإرادته، إذ ولدت السيدة مريم (عليها السلام) في ظروف غريبة وعجيبة ونستطيع القول إنها استثنائية.

٣٨- أشار الله تعالى إلى مريم (عليها السلام) أن تهز جذع النخلة وهي في أضعف حالاتها الصحية التي تمر بها عند الولادة هذا يؤكد أهمية السعي والعمل.

٣٩- وبعد رحلتي في معرفة هذا القانون الإلهي وأهميته وخصائصه ومعرفة الاستثناء الذي يحصل فيه وأسأل الله تعالى أن أكن قد وفقت في خدمة كتابه العزيز وبذلت فيه وسعي وما كان فيها من صواب أسأل الله القبول وان ما ذكرته في فصول الرسالة ومباحثها جهد إنساني قابل للزلل والخطأ.

قـــائمة

المصـــادر والمراجـــع

- **القرآن الكريم**

١- أبجد العلوم، صديق الحسيني القنوجي البخاري (ت:١٣٠٧هـ)، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، لبنان- بيروت، د.ت.

٢- ابن رشد بقلم عباس محمود العقاد، ط٦، دار المعارف، كورنيش النيل، د.م، د.ت.

٣- ابن رشد طموحات مثقف مسلم، ترجمة محمد البحري، المنظمة العربية للترجمة دومينيك اورفوا، د. مط، د.م، د.ت.

٤- إتحاف السادة المتقين بشرح احياء علوم الدين، مرتضى الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، ط٣، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت- لبنان، ١٤٢٦هـ.

٥- الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما، ضياء الدين أبو عبدالله محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت:٦٤٣هـ)، تحقيق: عبد الملك بن عبدالله بن دهيش، ط٣، الناشر دار خضر ، بيروت- لبنان، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٦- إحياء علوم الدين، أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ)، ومعه المغني عن حمل الاسفار في الاسفار في تخريج مافي الاحياء من الاخبار، العلامة زين الدين أبي الفضل العراقي (٧٢٥- ٨٠٦هـ)، ط١، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٧- أساليب التربية والدعوة والتوجيه من خلال سورة إبراهيم، وسيم فتح الله، الناشر: موقع وزارة الاوقاف، السعودية، د. مط، د.م، د.ت.

٨- الأسباب التي تصد عن قبول الحق وسبل الوقاية منها في القرآن الكريم، نايف بن يوسف بن سعد العُتبي، ط١، مكتبة الملك فهد، ١٤٣٥هـ.

٩- الأسباب ودورها في تحقيق المقاصد دراسة تطبيقية للقصة القرآنية ، يوسف الزيوت، د. مط، د.م، د.ت.

١٠- الأسس المنطقية للإستقراء (تراث الشهيد الصدر ج٢)، محمد باقر الصدر (ت: ١٤٠٠هـ)، ط١، الناشر مركز الابحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر (قدس)، ١٤٢١هـ.
١١- الأصول من الكافي، أبي جعفر بن يعقوب الكليني الرازي (ت: ٣٢٨-٣٢٩هـ)، ، د. مط، د.م، د.ت.
١٢- أضواء البيان في علوم القرآن، عامر عمران الخفاجي، ط١، دار صفاء للنشر، عمان، مؤسسة دار الصادق الثقافية، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.
١٣- الإعجاز القرآني، محمد طالب الحسيني، محاضرات الدراسات العليا والأولية منشورة على موقع كلية العلوم الإسلامية، جامعة بابل.
١٤- الإعجاز والتحدي في القرآن الكريم، محمد حسين الطباطبائي، تحقيق قاسم الهاشمي، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
١٥- الإعجاز القصصي في القرآن، سعيد عطية علي مطاوع، ط١، ٢٠٠٦م.
١٦- الإفصاح في فقه اللغة، حسين يوسف موسى، عبد الفتاح الصعيدي (معاصر)، ط٤، مكتب الاعلام الإسلامي، قم، ١٤١٠هـ.
١٧- آلاء الرحمن في تفسير القرآن ، محمد جواد البلاغي النجفي(ت: ١٣٥١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، د.ت
١٨- الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، المحاضر جعفر السبحاني بقلم حسن محمد مكي العاملي، مؤسسة الصادق (عليه السلام) للنشر، د.م، ١٤٣٠هـ.
١٩- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل مع تهذيب جديد، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، د.م، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
٢٠- أنوار التنزيل واسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، عبدالله بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي(ت:٦٩١هـ)، د. مط، د.م، د.ت.
٢١- بحار الانوار، المجلسي، تحقيق: يحيى العابدي الزنجاني، كاظم الموسوي الميماوي، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
٢٢- البوصلة القرآنية، أحمد خيري العمري، ط٣، دمشق- دار الفكر، ٢٠٠٣م.

٢٣- البيان في تفسير القرآن، أبو القاسم الخوئي (ت:١٤١٣هـ)، ط٨، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
٢٤- بين الدين والفلسفة في رأي ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط، محمد يوسف موسى، الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي.
٢٥- التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول (ﷺ)، منصور ناصف، ط٣، دار إحياء الكتب العربية- مصر، ١٣٨١-١٣٨٢هـ/ ١٩٦١-١٩٦٢م.
٢٦- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسني، أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي (ت:١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية للنشر، د.م، د.ت.
٢٧- تاج اللغة صحاح العربية المسمى (الصحاح)، أبي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٨هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت- لبنان.
٢٨- تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام، محمد علي أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٢٩- تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، د.ط، مطبعة القاهرة، ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م.
٣٠- التبصرة لابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، ط١، بيروت- لبنان، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
٣١- التبيان في تفسير القرآن، الطبرسي (ت: ٤٦٠هـ)، تحقيق احمد حبيب قيصر العاملي، ط١، مكتب الاعلام الإسلامي للنشر، ١٤٠٩هـ.
٣٢- التبيان في علوم القرآن، محمد علي الصابوني، دار احسان للنشر، د.م، د.ت.
٣٣- التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي، ط٣، مركز نشر آثار، العلامة المصطفوي- القاهرة، لندن ،٢٠٠٩م.
٣٤- تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، العرتقي (٧٢٥-٨٠٦هـ)، وابن السبكي (٧٢٧-٧٧١هـ)، الزبيدي (ت: ١١٤٥- ١٢٠٥هـ)، استخراج أبي عبدالله

محمود بن محمد الحداد (١٣٧٤هـ)، ط١، دار العاصمة للنشر، الرياض، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.

٣٥- تصحيح الوجوه والنظائر، لأبي هلال العسكري (ت:٤٠٠هـ)، تحقيق محمد عثمان، ط١، مكتبة الثقافة الدينية للنشر، ٢٠٠٧م.

٣٦- التعريفات الاعتقادية، سعد بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، ط٢، دار الوطن للنشر، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

٣٧- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني (ت:٨١٦هـ)، ط٤، ناصر خسرو، تهران للنشر، د.م، د.ت.

٣٨- تفسير البحر المحيط، أبي حيان الاندلسي (ت:٧٤٥هـ)، تحقيق عادل احمد عبد الموجود، علي محمد معوض وشارك التحقيق زكريا عبد المجيد النوقي، أحمد النجولي، ط١، دار الكتب العلمية للنشر، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٣٩- التفسير الحديث، محمد عزة دروزة (ت: ١٤٠٤هـ)، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت.

٤٠- تفسير السمرقندي ، أو الليث السمرقندي (ت:٣٨٣هـ)، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر، د.م، د.ت.

٤١- تفسير القرآن الكريم (سورة الانعام)، محمد بن صالح العيثمين، ط١، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

٤٢- تفسير القرآن، عبد الرزاق الصنعاني (ت:٢١١هـ)، تحقيق مصطفى مسلم محمد، ط١، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية، د.ت.

٤٣- التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠هـ)، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، د.ت.

٤٤- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبدالله بن احمد بن محمود بن حافظ الدين النسفي (ت:٧١٥هـ)، تحقيق: يوسف علي بدوي، راجعه: محي الدين ديب مسو، ط١، دار الكلم الطيب للنشر، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٤٥- التفسير الوسيط، وهبه الزحيلي (معاصر)، ط٢، دار الفكر، دمشق- سوريا، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٤٦- التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفة، دار التعارف للمطبوعات، الوجيه المهندس وجيد فكاهي- قم المقدسة، د.ت.
٤٧- تهافت الفلاسفة، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق سليمان دنيا، ط٦، الناشر دار المعارف- القاهرة – مصرن د.ت.
٤٨- تهذيب اللغة، أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (٢٨٢هـ-٣٧٠هـ)،، تحقيق: أحمد عبد العليم البرودني، مراجعة علي محمد البيجاوي ، د. مط، د.م، د.ت.
٤٩- التوفيق على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف بن المناوي (٩٥٢هـ-١٠٣١م)، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، ط١، عالم الكتب، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٥٠- التوكل، أبي يعلي محمد بن الحسين الفراء الحنبلي(٣٨٠-٤٥٨هـ)، تحقيق يوسف بن علي الطريف، ط١، الميمان للنشر، د.م، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.
٥١- التوكل على الله، اسماء بنت راشد الرويشد، مصدر هذه المادة الكتيبات الإسلامية، دار الوكن للنشر، د.م، د.ت.
٥٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن فُعلا اللويحق، ط٢، دار السلام للنشر، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
٥٣- التيسير في أحاديث التفسير، محمك المكي الناصري (ت١٤١٤هـ)، ط١، الناشر دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٥٤- جامع الأحاديث ، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، ضبط نصوصه وخرج احاديثه مجموعة من الباحثين بإشراف علي جمعة (مفتي الديار المصرية)، د. مط، د.م، د.ت.

٥٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت:٩٢٣هـ)، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار الهجر، القاهرة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٥٦- جمع الجوامع المعروف بـ(الجامع الكبير)، جلال الدين السوطي (٨٤٠-٩١١هـ)، تحقيق: مختار ابراهيم الهائج، عبد الحميد محمد ندا، حسن عيسى عبد الظاهر، ط٢، الناشر دار الأزهر الشريف القاهرة- مصر، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٥٧- جوامع الجامع، الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ)، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، د.ت.

٥٨- جواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي)، الثعالبي (ت: ٨٧٤هـ) ، تحقيق: عبد الفتاح أبو سنة، علي محمد معوض، عادل احمد عبد الموجود، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤١٨هـ.

٥٩- حركة التاريخ في القرآن الكريم، عامر الكفيشي، ط١، دار الهادي للطباعة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٦٠- الحكمة والتعليل في افعال العباد (بين القضاء والقدر)، تقديم عبدالله عمر موسى ستاكو، إشراف: محمد السيد البساطي، د. مط، د.م، د.ت.

٦١- حياة الخضر، هاشم فياض الحسيني، ط١، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، د.م،١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٦٢- دراسات في العقيدة الإسلامية، محمد جعفر شمس الدين، د. مط، د.م، د.ت.

٦٣- دراسات في علم الكم والفلسفة الإسلامية، جمال مرزوقي، ط١، د.م، د.ت.

٦٤- دلائل التوحيد، محمد جمال الدين القاسمي، صححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.، د.ت.

٦٥- ذو القرنين وسد يأجوج ومأجوج، هاشم فياض الحسيني، ط١، مطبعة السرور، د.م، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٦٦- ذو القرنين ويأجوج ومأجوج، جمال الدين الشرقاوي، د. مط، د.م، د.ت.

٦٧- رسائل الكندي الفلسفية، محمد عبدالهادي أبو ريدة، مطبعة الإعتماد بمصر، ١٣٦٩هـ- ١٩٥٠م.

٦٨- زبدة التفاسير، الملا فتح الله الكاشاني (ت: ٩٨٨هـ)، مطبعة عنتر، مؤسسة المعارف ، قم- ايران، ١٤٢٣هـ.

٦٩- الزهر النضر في حلال الخضر، أبي الفضل احمد بن حجر العسقلاني (٧٧٣- ٨٥٢هـ)، تحقيق صلاح الدين مقبول احمد،ط٢، مكتبة اهل الاثر للنشر، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٧٠- الزهراء (عليها السلام) سيدة نساء العالمين، ناصر مكارم الشيرازي، ط١، مدرسة الامام علي (عليه السلام)، د.م، د.ت.

٧١- زهرة التفاسير ، محمد بن أحمد بن مصطفى، أحمد المعروف (أبي زهرة) (ت: ١٣٩٤هـ) ، د. مط، د.م، د.ت.

٧٢- السببية في العلم وعلاقة المبدأ السببي بالمنطق الشرطي، السيد نفادي، ط١، الناشر جار التنوير للطباعة، توزيع دار الفارابي- بيروت، ٢٠٠٦م.

٧٣- السببية والخلق المتواصل في الفكر الإسلامي والكلامي (الغزالي – ابن رشد- ابن خلدون)، إعداد لخضر بوزرارة، إشراف عمار جيدل، ١٤٢٩-١٤٣٠هـ، ٢٠٠٨-٢٠٠٩م.

٧٤- السفسطائية وأثرها في إثارة الشك، عبد الرحمن بن غالب عواجي، د.مط، د.م، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م.

٧٥- سنة الله في الاخذ بالأسباب، علي محمد محمد الصلابي، ط١، مطبعة ابن كثير، د.م، ٢٠١٦م.

٧٦- السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم- أصول وضوابط، مجدي محمد محمد عاشور، إشراف مصطفى محمد الشكعة، تقديم علي جمعة، دار السلام للطباعة والنشر، د.م، د.ت.

٧٧- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٧٨- السنن الإلهية في الميدان الاقتصادي، يوسف ابراهيم يوسف، مطبوعات مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٧م.
٧٩- السياسة وقانون الأسباب والمسببات، محمد حسين شيرازي، طباعة مؤسسة المجتبى، الناشر مركز القائمية بأصفهان، د.م، د.ت.
٨٠- سيدنا الخضر (عليه السلام) ، سيد سلامة غنمي، ط١، دار الأحمدي للنشر، د.م، يناير ٢٠٠٠.
٨١- شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح اللدنية، أبو عبدالله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (ت: ١١٢٢هـ)، ط١، دار الكتب العلمية للنشر ، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
٨٢- شرح المقاصد ، مسعود بن عمر بن عبدالله الشهير سعد الدين التفتازاني (٧١٢-٧٩٣هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ط٢، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
٨٣- شرح نهاية الحكمة (العلة والمعلول)، تقرير بحث السيد كمال الحيدري لشيخ علي العبادي معاصر، ط١، مؤسسة الهدى للطباعة والنشر، لبنان- بيروت.
٨٤- العالم في فلسفة ابن رشد الطبيعية، زينب عفيفي شاكر، تصدير بقلم عاطف العراقي، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩٣م.
٨٥- العذراء مريم وميلاد المسيح (عليه السلام) بين القرآن والانجيل، فتحي فوزي عبد المعطي، نهضة مصر، د.م، د.ت.
٨٦- العقل والنقل عند ابن رشد، أبو أحمد محمد بن أمان بن علي جامي علي (ت١٤١٥هـأ)، ط١، الناشر الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، العدد الأول، رمضان ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
٨٧- العقلانية فلسفة متجددة، جون كونتغهام، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، ط١، الناشر مركز الانماء الحضاري، حلب، ١٩٩٧م.
٨٨- عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل مكاوي، الناشر مكتبة دار الزمان، ط١، د.م، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٨٩- العناية بالقرآن الكريم في العهد النبوي الشريف، يوسف بن عبدالله العاطي، الناشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.م، د.ت.

٩٠- عيسى ومريم في القرآن والتفسير ، تحرير رياض أبو وندي، علاء رشيق، حسن البطوشي، عوّاد علي، إشراف يوسف قزما خوري، مطبعة العلوم، د.م، د.ت.

٩١- عيون الانباء في طبقات الأطباء، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف (ابن أبي اصيبعة)، تحقيق: مزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، د.م، د.ت.

٩٢- غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، محمد ناصر الدين الالباني (ت: ١٤٢٩هـ)، ط٣، المكتب الإسلامي ، بيروت، ١٤٠٥هـ -٢٠١٨م.

٩٣- فتح البارئ بشرح الامام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري، احمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ)، رتب احاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، د. مط، د.م، د.ت.

٩٤- فتنة الدجال ويأجوج ومأجوج ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي، تحقيق: احمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي، ط٢، دار ابن الجوزي، د.م، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٩٥- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، شرف الدين الحسين بن عبدالله الطيبي (ت: ٧٤٣هـ)، مقدمة التحقيق أياد محمد الفوج، القسم الدراسي، جميل بن عطا، ط١، جائزة دبي الدولية للقرآن، ١٤٣٤هـ- ٢٠٠٣م.

٩٦- فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد، قدم له وعلق عليه ألبير نصري نادر، ط٢، دار المشرق ، المطبعة الكاثوليكية، بيروت- لبنان، د.ت.

٩٧- فقه السنة الإلهية، عادل بن بوزيد عيساوي، ط١، شعبان ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م، حقوق الطبع محفوظة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، د.ت.

٩٨- فقه السنن الإلهية ودورها في البناء الحضاري، عادل بو زيد عيساوي، ط١، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

٩٩- فقه النصر والتمكين(أنواعه- شروطه- أسبابه- مراحله- أهدافه)، علي محمد الصلابي، دار المعرفة، بيروت-لبنان، د.ت.

١٠٠-فكرة السببية عند فلاسفة الاسلام، صفية العدوى خليل ، مج٧، جامعة بني سويف ، كلية الآداب، ٢٠١٨ م.

١٠١-الفلسفة الإسلامية في المشرق، فيصل بدير كون، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

١٠٢-الفلسفة الإسلامية، أحمد فؤاد اللاهوني، الهيئة العربية للكتاب، ١٩٨٥م.

١٠٣-الفلسفة الإسلامية، كامل محمد محمد عويضة، مراجعة محمد رجب البيومي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٠٤-الفلسفة الطبيعية والإلهية عند الفارابي، زينب محمد عفيفي شاكر، تصدير عاطف العراقي، دار الوفاء للنشر، د.م، د.ت .

١٠٥-الفلسفة القرآنية، عباس محمد العقاد، ط٢، يناير ٢٠٠٦م، مطابع المنطقة الصناعية الرابعة-مدينة السادس من اكتوبر الإدارة العامة للنشر أحمد عرابي-المهندسين-الجيزة- د.ت.

١٠٦-الفهارس العلمية لآثار ابن قيم الجوزية، اعداد علي بن محمد العمران- محمد عزيز شمس- محمد أجمل الاصلاحي- نبيل بن نصار السندي، ط٢، الناشر دار عطاءات العلم (الرياض)، دار ابن هزم ، بيروت، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١م.

١٠٧-في الطريق إلى الله (٣ التوكل)، يوسف القرضاوي، طبعة الفرقان الاولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

١٠٨-القاموس الفقهي لغة وإصطلاحاً، سعدي أبو حبيب، ط٢، الناشر دار الفكر دمشق- سوريا، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١٠٩-القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت:٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، د.م، د.ت.

١١٠-قصص الانبياء، المجلسي، تحقيق محسن عقيل، ط١، دار المحجة البيضاء، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

١١١-القصص القرآني ، صلاح الخالدي، ط١، دار القلم دمشق، دار الشامية- بيروت، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

١١٢-القصص القرآني، جعفر السبحاني، ط١، مؤسسة الإمام الصادق(عليه السلام)، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

١١٣-القصص القرآني، محمد باقر الحكيم، ط٣، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، مطبعة العترة الطاهرة، ٢٠٠٨م.

١١٤-القصص القرآنية وتاريخ الأنبياء في تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي، اعداد وتنظيم حسين فعّال، ط٢، دار الرسول، بيروت- لبنان، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

١١٥-قواعد الفقه، محمد عميم الإحسان المجد دي البركتي، ط١، الناشر الصدف ببلشرز كراتتشي ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

١١٦-الكتاب العزيز في اعراب القرآن المجيد، المنتخب الهمذاني (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، الناشر دار الزمان، المدينة المنورة – السعودية، د.ت.

١١٧-كرامات الاولياء، أبي القاسم هبة الله بن الحسين بن منصور الطبري الرازي اللاكائي (ت:٤١٨هـ)، تحقيق: احمد بن سعد بن حمدان الغامدي ، ط٨، دار طيبة للنشر، د.م، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

١١٨-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري جار الله (ت:٥٣٨هـ)، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ١٤٠٧هـ.

١١٩-كشف الالباس عما صح وما لم يصح عن قصة الخضر أبي العباس، ابراهيم بن فتحي بن عبد المقتدر ، تقريظ أبو بكر جابر الجزائري، محمد صفوت نور الدين، ط٢، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

١٢٠-الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشد (ت٥٩٥هـ)، ط١، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، ١٩٩٨م.

١٢١-الكشكول، محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمذاني، بهاء الدين (ت:١٠٣١هـ)، تحقيق محمد عد الكريم النمري، ط١، الناشر دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

١٢٢-الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية، عبدالله خضر حمد ، ط١، دار القلم، بيروت- لبنان، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م.

١٢٣-كنز الدقائق وبحر الغرائب، محمد بن محمد رضا القمي المشهدي (ت: ١١٢٥هـ)، ط١، مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران- ايران.

١٢٤-اللباب في تفسير الإستفادة والبسملة وفاتحة الكتاب، سليمان بن ابراهيم بن عبدالله اللاحم، ط١، دار مسلم للنشر ، الرياض- السعودية، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٢٥-اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عب الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١٢٦-لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين بن المنظور الانصاري الرويفعي الافريقي (ت:٧١١هـ)، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

١٢٧-مباحث في اعجاز القرآن، مصطفى مسلم، ط٢، دار مسلم للطباعة- الرياض، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

١٢٨-مبدأ السببية في الفكر الإسلامي في العصر الحديث، محمود محمد عيد نفيسة، دار النوادر، د.م، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

١٢٩-معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت:١٤٢٤هـ)، ط١، د.مط، د.م، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
١٣٠-محاسن التأويل ، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
١٣١-المحيط في اللغة ، اسماعيل بن عباد(٣٢٦-٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد حسين آل ياسين، عالم الكتب، د.م، د.ت.
١٣٢-مدارج السالكين بين منازل " إياك نعبد وإياك نستعين" ، أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن ايوب ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ)، تحقيق: رضوان جامع رضوان، (بدون سنة طبع)، مؤسسة المختار، القاهرة، د.ت.
١٣٣-المدخل إلى الثقافة الإسلامية، ابراهيم بن حماد الريس، أحمد بن عثمان المزيد، خالد بن عبدالله القاسم، علي بن عبدالله الصياح، ادريس بن حامد محمد، ط١٦، مدار الوطن للنشر، د.م، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.
١٣٤-مدخل إلى علم الفلسفة، اعداد جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، مركز نون للتأليف والترجمة ، ط١، نشر جمعية المعارف الإسلامية النقابية، د.م، ١٤٢٦هـ- ٢٠١٥م.
١٣٥-المدرسة الإسلامية ، محمد باقر الصدر (ت: ١٤٠٠هـ)، ط١، الناشر مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر(قدس)، د.م، ١٤٢١هـ.
١٣٦-المسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين، محمد العروسي عبد القادر، مكتب الرشد، د.م، د.ت.
١٣٧-المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة ، عبد الكريم زيدان، ط١، د.مط، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
١٣٨-مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي (دراسة نقدية في ضوء الاسلام)، عبد الرحمن بن زيد، د.مط، د.م، د.ت.

١٣٩-معاني القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي (ت: ٣٣٨هـ)، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، ط١، دار ابن حزم، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

١٤٠-معجزات الأنبياء موسى (عليه السلام) – عيسى (عليه السلام)- محمد (ﷺ)، منى حسنين عبد القادر، ط٢، د.مط، د.م، د.ت.

١٤١-معجزات الأنبياء والمرسلين، سيد مبارك، المكتبة المحمودية، د.م، د.ت.

١٤٢-المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، عبد المنعم الحنفي (معاصر)، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة-مصر، ١٤٢٠هـ، .

١٤٣-المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتب اللبناني، مكتبة المدرسة ، بيروت- لبنان، ١٩٨٢م.

١٤٤-معجم اللغة العربية المعاصرة، احمد مختار عبد الحميد عمر (ت:١٤٢٤هـ)، مادة خ ر ق، د.مط ، د.م، د.ت.

١٤٥-المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيان، حامد عبد القادر، محمد النجار، د.مط ، د.م، د.ت.

١٤٦-معجم علوم القرآن، ابراهيم محمد الجرمي، ط١، دار القلم، دمشق، د.ت.

١٤٧-المغني عن حمل الاسفار في الاسفار في تخريج مافي الاحياء من الاخبار أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن ابراهيم العراقي (ت:٨٠٦هـ)، ط١، الناشر دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

١٤٨-مفاتيح الغيب التفسير الكبير، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن ، ط٣، الناشر دار احياء التراث ، بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٤٩-المفردات في غريب القرآن، أبي القاسم الحسن بن محمد المعروف (الراغب الاصفهاني)، تحقيق: مكتبة نزار مصطفى الباز، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز ، د.م، د.ت.

١٥٠-المفردات في غريب القرآن، أبي القاسم الحسن بن محمد المعروف بـ(الراغب الاصفهاني)، تحقيق: مكتبة نزار مصطفى البّار، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز، د.م، د.ت.

١٥١-مفهوم الخير والشر في الفلسفة الإسلامية (دراسة مقارنة في فكر ابن سينا)، منى احمد محمد أبو زيد، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

١٥٢-مفهوم السنن الربانية دراسة في ضوء القرآن، رمضان خميس زكي.

١٥٣-مقتنيات الدرر، مير سيد علي الحائري الطهراني (ت: ١٣٥٢هـ)، مطبعة الحيدري بطهران، ١٣٣٧هـ.

١٥٤-منة المنان في الدفاع عن القرآن، محمد الصدر (ت:١٤١٩هـ)، تحقيق: مؤسسة المنتظر لإحياء تراث آل الصدر، ط١، الناشر محبين، قم، ايران، ١٤٣٢هـ.

١٥٥-منتخب من صحاح الجوهري، أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت:٣٩٣هـ) ، د.مط ، د.م، د.ت.

١٥٦-موجز علوم القرآن، داود العطار، ط٣، مؤسسة الأعلمي- بيروت، ١٤١٥هـ.

١٥٧-موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام ، إعداد مجموعة من الباحثين بإشراف علوي بن عبد القادر السقاف، الناشر موقع الدرر السنية عل الانترنت، تم تحميله في ربيع الاول ١٤٣٣هـ.

١٥٨-موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، الدرر السنية، اعداد مجموعة باحثين بإشراف الشيخ علوي عبد القادر السقاف بن عبد القادر السقاف، الناشر موقع الدرر السنية على الانترنت.

١٥٩-موسوعة الفقه الإسلامي، محمد بن إبراهيم بن عبدالله التويجري، ط١، الناشر بيت الافكار لدولية، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

١٦٠-موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تحقيق علي دجروح، تقديم وإشراف رفيف العجم، مكتبة لبنان ناشرون ، د.م، د.ت.

١٦١-الميزان ، الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، د.ت.

١٦٢-الميسر في علوم القرآن، عبد الرسول الغفار، ط١، دار مكتبة الرسول، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
١٦٣-النبوة والرسالة بين الإمامين الغزالي وابن تيمية، محمد والد لداه ولد أحمد ولد الطالب عيسى ، ط١، دار طوق النجاة، بيروت- لبنان، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.
١٦٤-النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد، دكتور عاطف العراقي، ط٤، دار المعارف، ١٩٨٤م.
١٦٥-نوح والطوفان العظيم، علي محمد محمد الصلابي، دار ابن كثير للنشر، د.م، د.ت.
١٦٦-الوافي في تاريخ القرآن وعلومه، عامر عمران الخفاجي، ط٢، مؤسسة دار الصادق الثقافية، بابل، ٢٠١٩م.
١٦٧-الوجود بين السببية والنظام ،إلياس بلكا، ط١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٩م.
١٦٨-الوجود بين السببية والنظام، إلياس بلكا، ط١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٩م.
١٦٩-الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ومعانيها ،أبي عبدالله الحسين بن محمد الدامغاني (ت:٤٧٨هـ)، تحقيق: فاطمة يوسف الغيمي، ط١، د.مط، د.م، د.ت.
١٧٠-الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت:٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداووي، ط١، دار القلم، الدار الشامية، دمشق- بيروت، ١٤١٥هـ.
١٧١-وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، عبد السلام أحمد الراغب، ط١، الناشر فصلت -حلب، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
١٧٢-ولو يشاء الله لانتصر منهم وجوب بذل الاسباب لطلب النصر، حسنت بن محمد آل شريع مصدر المادة الكتيبات الإسلامية، دار ابن كثير، د.م، د.ت.

١٧٣-ينابيع الفكر الإسلامي وعوامل تطوره، محمود غلاب، ، يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة، ط٦ ، د.م ، ١٥ جمادي الآخرة، ١٣٨٦هـ، ٣٠ سبتمبر ، ١٩٦٦م.

الرسائل والأطاريح:

١-الإستنباط عند الخطيب الشربيني (ت: ٩٧٧هـ)، في تفسيره السراج المنير جمعاً ودراسة ، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – كلية أصول الدين– قسم القرآن وعلومه، اعداد: اسماء بنت محمد بن عبد العزيز ناصر السبر، ١٤٣٧-١٤٣٨هـ.

٢- التوكل على الله في القرآن الكريم (دراسة في التفسير الموضوعي)، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة، وأصول الدين، إعداد معتوقة بنت محمد حسن بن زيد حسان الحساني، إشراف عبد الحميد عمر الأمين، العام الدراسي ١٤٢١هـ-٢٠٠١م .

٣-السنن الإلهية في الحياة الانسانية واثر الايمان بما في العقيدة والسلوك، اعداد شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، اشراف عثمان عبد المنعم يوسف، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه جامعة ام القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة فرع العقيدة، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٤-السنن الإلهية في تغير المجتمعات في ضوء القرآن الكريم ، اعداد: ايمن بن نبيه بن غنام المغربي، اشراف: محمد بن عمر بازمول، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير جامعة ام القرى، كلية الدعوة واصول الدين قسم الكتاب والسنة، ١٤٢٧-١٤٢٨هـ.

٥-السنن الإلهية وتفسير القرآن الكريم في العصر الحديث، اعداد: عمر حيدوسي، إشراف عبد الحميد بوكعباش، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الإسلامية، جامعة الحاج الخضر باتنة- الجزائر، ٢٠١٢م.

٦-مفهوم السببية الإسلامي، أبو حامد الغزالي والكندي أنموذجين، إعداد سعيدي أسماء إشراف دكتور أحمد دكان، جامعة أبي بكل بلقايد – تلمسان، كلية الآداب واللغات، د.م، د.ت.

المجلات

١-الأخذ بالأسباب كقيمة إسلامية في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية، محمد علي عزب، مجلة كلية التربية بالزقازيق، العدد ٦٧، ابريل ٢٠١٠م.

٢-الأسباب والمسببات في القرآن الكريم، اركان علي حسن، ولاء صباح توفيق، مجلة كلية التربية الجامعة المستنصرية، العدد السادس، ٢٠١٥م.

٣-الخضر من خلال كتاب الكاشف عن حقائق السنن للإمام الطيبي، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد ٤٧، ٢٧ ذي الحجة ١٤٣٧هـ- ٢٩ ايلول ٢٠١٦م.

٤-الدليل الالكتروني للقانون العربي، كيفية التعرف على السنن الإلهية من خلال القرآن الكريم، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات – المجلد السادس، العدد الأول، ٢٠٠٤م.

٥-السنن الإلهية – حقيقتها – وإدراكها في ضوء القرآن الكريم، ذو الكفل محمد يوسف، مجلة معهد الامام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد السابع، جمادى الآخرة، ١٤٣٠هـ.

٦-القدرة الإلهية والأسباب في القرآن الكريم (سورة مريم أنموذجاً)، رحاب رفعت فوزي عبد المطلب، مجلة الدراسات الإسلامية والبحوث الاكاديمية ، العدد (٦٤).

٧-مجلة الرسالة أصدرها أحمد الزيات باشا (ت١٣٨٨هـ)، د.م، د.ت.

٨-مفهوم السببية في الفيزياء المعاصرة وعند المتكلمين المسلمين، محمد باسل الطائي وده آمال رضا ملكاوي، محمد سعيد الصباريني، المجلة الاردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الثامن، العدد (٢أ)، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

٩-وقفات تربوية مع سورة الكهف، جمع واعداد نجلاء السبيل ، برنامج التدبير، الملزمة السابعة، د.م، د.ت.

شبكة الانترنت:

1- https// ar .m-mikisource Org/wiki/

Abstract

The Holy Qur'an is a way of life and contains laws that regulate human life in all respects, and it has great importance in the life of the individual, family and society, and it contains what matters to rational beings in the universe, and no one can dispense with it, in building human personality, mind, thought, conscience and all that concerns him in various times and until the Day of Resurrection.

The Holy Qur'an is full of divine laws on which society is based, and all of these laws are based on a system of causes and causes, as everything in this universe has a cause and the cause has a cause, and everything in the universe is subject to His will, from here it became clear in my mind to study this divine law (law Reasons and Causes) and this was my desire to prove it and clarify its properties and to convince the recipient that everything that goes on in this universe was not a coincidence. Is this law an exception or does it include all people?

In the reasons for choosing the topic, it was stated that it is a divine Sunnah and a general and comprehensive law, and it was not studied before.

This thesis entitled (The Law of Causes and Etiologies in the Noble Qur'an and its Relationship to the Paranormalities of the Prophets aims to explain the divine law that includes everything in the universe of beings, to know the position of Islamic philosophers regarding this year, as well as to indicate the extent to which this Sunnah is comprehensive, stable and repetitive with the will of God The study also aimed to clarify the relationship between causes and causes in all matters, whether cosmic matters or legal matters.

One of the problems that I faced in this research is the philosophical problem of doctrinal and the relationship of this problem to the issue of the supernatural, in addition to my intrusion into the field of philosophy even though I am a beginner in it and have only been briefly aware of it with the scarcity of studies that spoke about the law of causes among miraculous scholars and the link between them and the supernatural, as well as the lack of mention This year in the books of interpretation, and the methodology that I followed was a combination of the objective methodology and the analytical method.

Abstract

With regard to previous studies, and after strenuous follow-up, no one has come to our knowledge that anyone has dealt with this subject in an integrated academic study, except for a study that was through a published research entitled (Causes and Causes in the Noble Qur'an) prepared by Arkan Ali Hussein, Walaa Sabah Tawfiq, Journal of the College of Education, Al-Mustansiriya University Sixth issue, 2015.

The research plan included a preface and three chapters. The preface included a title (conceptual investigations in the title of the thesis) and included many points in which it clarified the meaning of each of the cause, the cause, the cause and the difference between them, as well as the meanings of the miracle and the paranormal and the difference between them, and also the meaning of the verse and the Holy Qur'an. As well as clarifying the meaning of the Prophet and the Sunnah, as well as the meaning of the law and the law.

The title of the first chapter was (The Position of Muslim Philosophers on Causality) and it included three sections. The first topic came under the title (The Position of Peripatetic Philosophers on Causality) and this topic included the position of three Muslim philosophers, namely: Al-Kindi (185-260 AH), and Al-Farabi (259- 339 AH), and Ibn Sina (370-428 AH).

The second topic is entitled (Al-Ghazali and his position on causation), which was the reason for choosing this title; Because it demolished causation and tamed the correlation between causes and causes, and we held that the third topic should be entitled (Ibn Rushd and his position on causation) because Ibn Rushd, despite being a peripatetic, criticized Al-Ghazali's philosophical views and had his own vision of linking empirical matters with religious data.

The second chapter was entitled (Causality in Islamic Thought) and included a preface and three sections, the first was entitled (Sections of the Divine Sunnahs and their characteristics) in which the cosmic and legal Sunnahs were mentioned, and the characteristics of the divine Sunnahs were also mentioned.

The second topic is entitled (Causality is a divine Sunnah and its relationship to trust in God) and I explained in this topic the meaning and reality of trust and the difference between trust and trust.

The third topic came under the title (the relationship between causes and causes), so the relationship between them is still disputed.

As for the third chapter, it came under the title (Breaching the Causes and Effects of the Prophets and the Guardians, and in this chapter I talked about the possibility of violating the system of causes by the will of God when the miracle occurs. The story of Noah and the flood, in which she mentioned the stages that Noah went through from calling his people to save him from drowning and how God broke his reasons for placing the ship and bypassing the expressive flood.

The second topic was entitled (Breaching the causes and causes in the story of Moses and the righteous servant, and it showed the breach of causes by our master Moses and the breach of causes with the righteous servant, as he was aware of future matters that no one knew but God Almighty.

The third topic was entitled (Breaking the Causes and Causes in the Story of Dhul-Qarnayn), in which it showed how God Almighty broke the causes for this man circumambulating and empowered him on the earth.

While the fourth topic was titled (Breaching the causes and causes in the story of Jesus, and she mentioned in this topic the exceptional circumstances of his birth and the birth of his mother, Maryam.

The thesis concluded with a conclusion, results, a list of sources and references, and an English summary.

The Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Babylon
College of Islamic Sciences/ Department of Quranic

The Law of Causes and Etiologies in the Noble Qur'an And its relationship to the supernatural of the prophets (Peace be upon them)

A study submitted to the Council of the College of Islamic Sciences at the University of Babylon
It is part of the requirements for obtaining
a master's degree in Qur'anic sciences

A thesis by

Afrah Jaber Radhi Gouda Al Hilali

Supervised by

Prof. Dr. Amer Omran Al-Khafaji

1443 AH 2022 .A.D